٩٥٣٫٨
أ. ف أحسن القصص أو سيرة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفيصل السعود ، نظم خالد بن محمد الفرج . كتبت في
القرن الرابع عشر الهجرى ، لعلها بخط المؤلف.
٣٢٢٢ ز ١٣٢ص ١٥س ٢٣×١٨سم
نسخة جيدة ، خطها تعليق جيد .
١- تاريخ المملكة العربية السعودية أ- الفرج ، خالد بن
محمد بد الناسخ جـ- تاريخ النسخ .

خلاصة القصص

أو

سيرة جلالة الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ونصره

اللجزء الأول

نظم

خالد بن محمد الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه.

اما بعد يا صاحب الجلالة :

ان من المأثور عن جلالتكم هذه الكلمة الحكيمة : "احب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا احبهما : الهجو والغلو في المديح" وهذه منظومة تحتوي على سيرة جلالتكم نظمتها الحقيقة والتاريخ فلا مبالغة فيها ولا تحامل على أحد .

وليست سوى صدى لأعمال توجتم بها هام العروبة بأكاليل الفخار ، وصفحات بيضاء خالدة أضفتموها الى تاريخ العرب المجيد أنتم أعلم بدقائقها وجلائلها نظمتها للأمة العربية التي رفعت رأسها بكم وبأعمالكم المجيدة الخالدة .

أطال الله بقاءكم حتى تتم للأمة العربيّة أمانيها على يديكم .

خالد بن محمد الفرج

سِفْرُ الخُلُوْد

هو ذا الدهر أكبر الأسفارِ
فيه أسمى العظات والاعتبارِ
ما الليالي فيه سوى أسطارِ
في طروس من نسج ضوء النهارِ
مُلِئت من تقادم الاعصارِ
صفحاتٍ مُلئن بالأخبارِ لذوي الاتّعاظ والأبصارِ

* * *

هو هذا فافتح سفر الخلودِ
حافل بالقديم بَلْهَ الجديدِ
فيه ذكرى "فرعون" و"النمرود"
وجديس وطسم بعد ثمود
ثم روما وفارس والهنود
ورجال الالياذ والتلمود وعجيب الاقبال والادبارِ

* * *

ليس عمر الفتى وإن طال عُمرا
سوف يلقى الفنا وإن عاش دهرا
انما العمر أن يُخلِّفَ ذكرًا
سائرًا في الورى علاءً وفخرا
فاجتهد أن تنال ما هو أحرى
أن تسطّر بالجدّ باسمك سطرا في سجل الخلود والأعمار

* * *

فلِذا - رب فارسٍ مغوارِ
خاض نار الوغى وسحب الغبار،
مستهينًا مراكب الاخطارِ،
وخطيبٍ في محفل زخّار،
وعليمٍ بمغلق الاسرارِ،
ومكبٍّ في الدرس والتكرار لم يجدوا الّا لنيل الفخار

* * *

* * *

انما الدهر كالمرايا لناسٍ
بان فيها خيالهم بانعكاسِ
وتلاشى لفقدهم، عن قياسِ
وكلوح المصوّر الحسّاس
لمشيدي بنائهم بأساسِ
رسمهم فيه ثابتًا لانقاس ماثلًا بالوضوح للأنظار

* * *

فاحرص الحرص كله أن تنالا
عُمرَ ذكرٍ يقاوم الاجيالا
لا تسمِّ الصعابَ - عجزًا - محالا
ربّ جد قد حقق الآمالا
وضعيف قد أخضع الابطالا
خذ مثالًا اذا أردت مثالا سيرة من عظائم الآثار

* * *

الشاب الناهض

هو هذا فتى وسيمٌ أغرّ
عاش ما بين أهلهِ وهو حر
ولدوه اذ المرابع خضر
ثم أضحى أبوه والكف صفر
نائيًا عن بلاده وهي وكر
هو عيشٌ لدى الابيّين مرّ كيف يقضي حياته بمرار؟

* * *

هو (عبد العزيز آل سعود)[1]
كامنُ سن بعين الوجودِ
ومخبّا ليومهِ الموعود
مثل سيفٍ في غمدٍ مغمود
أو كنار الزناد في الجلمود
او كعرف الشذا برند العود واللآلي في غامض المحار[2]

(١) هو جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان ينتهي نسبه الى بكر ابن وائل من ربيعة ، وقد اشتهرت عائلتهم الكريمة بآل سعود وآل مقرن ، حماة الدين والقائمين باصلاحه واول من تولى الأمامة منهم الأمام محمد بن سعود لقيامه بنصرة المصلح الكبير الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمة الله عليه .

ولد جلالة الملك عبد العزيز في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ .
وتولى امامة نجد بفتحه الرياض في ٤ شوال سنة ١٣١٩ .
وصار ملكًا على الحجاز في جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ .
وفي شهر رجب سنة ١٣٤٥ نودي به ملكًا على الحجاز ونجد وملحقاتها .

(٢) المحار جمع محارة : أصداف اللؤلؤ .

* * *

لذة العز ذاقها وهو طفل
ورأى وهو يافع كيف يحلو [1]
أهله عن ديارهم وهي تخلو
ثم أضحى وعزه مضمحل
يتسلّى ومثله كيف يسلو
هو ماض وحثّه لا يُفلّ غارقٌ من همومه في بحار

* * *

كان وسط الكويت قيد العيون [2]
ذا مكان وسط القلوب مكين
يتمشى من بينهم بسكون
بيد أن الآمال ذات كمون
زادها قوةً صبى العشرين
فلديه القصور مثل السجون حيثما يرتمي الى الافكار [3]

* * *

(١) في سنة ١٣٠٨ تغلب محمد بن عبد الله الرشيد على أهل القصيم في وقعة المليدة وتم له الاستيلاء على نجد كلها بما في ذلك الرياض فقد كان الأمام عبد الرحمن الفيصل خارجًا بجيوشه من الرياض لنجدة أهل القصيم فلما بلغه خبر انتصار ابن الرشيد كر راجعًا فأخرج عائلته من الرياض وأم الأحساء.

(٢) بعد أن وصل الأمام عبد الرحمن الى الأحساء قابله مندوب من قبل واليها عاكف باشا يعرض عليه أن يعود الى الرياض ويتولاها من قبل الدولة العثمانية وكان الوالي يقصد من ذلك اعتراف آل سعود بخضوعهم الفعلي للدولة ولعلم الأمام ان الاتراك عاجزون عن مساعدته مساعدة فعلية ولعلمه بنواياهم نحوه رفض ما اشترطوه عليه بإباء. وتوجه الى الكويت وعاد منها الى قطر ودعاه الوالي ثانيًا الى الأحساء واتفق معه على أن تدفع له الدولة معاشًا شهريًا وأن يقيم وعائلته في الكويت.

(٣) سمعت من سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين السابق ان الملك عبد العزيز لما مر بالبحرين بمعيته والده اثناء ذهابه الى الكويت وعمره اذ ذاك لا يتجاوز الحادية عشر سأل الشيخ عيسى: أقطر احسن ام البحرين؟ فأجابه على الفور: الرياض أحسن منهما! قال الشيخ عيسى فدهشت لهذا الجواب السريع وعلمت ان وراء الأكمة ما وراءها.

المخاطرة الأولى

فتح الرياض

* * *

انظر الزند في يد القدّاح
تشعل النار في مهب الرّياح
ظفر "ابن الرشيد"[1] "بابن الصباح"[2]
وبعيد العزيز كبح الجماح
ان عبد العزيز خير سلاح
أي بُنيّ[3] انتقم وداوِ جراحي من عدوٍ طغى، وخذ بالثار

* * *

(١) هو عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد تولى امارة حائل وشمر عما في ذلك نجد بعد وفاة عمه سنة ١٣١٥ وقتل سنة ١٣٢٤

(٢) هو الشيخ مبارك بن صباح بن جابر آل صباح تولى امارة الكويت بعد قتله لاخويه محمد وجراح سنة ١٣١٣ وهو من دهاة امراء العرب المشهورين وكان الأمام عبد الرحمن الفيصل لا يزال مقيما فيها وكاد لجو يصفو لمبارك في الحكم لولا انه رمي بداهية دهياء، وهو يوسف بن عبد الله آل ابراهيم خال ابناء المقرّبين وكان ذا ثروة ضخمة جعلته يطمح الى حكم الكويت لما يعلمه من مكانته في نفوس الكويتيين بلا استياء الذي خامرهم من فعلة مبارك فاتخذ المطالبة حجة له وقاوم مبارك بكل ما اوتي من قوة فألب عليه الحكومة العثمانية وكاد ينجح لولا تداخل حكومة الانكليز وسعى عند محمد الرشيد بمساعدة الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر فلم ينجح واغتنم يوسف فرصة تولي عبد العزيز المتسلط فاغراه فوجد اذنا صاغية ولم يسبق لمبارك صديق فرأى نفسه بحاجة الى محالفة الأمام عبد الرحمن الذي وان كان أعزلا من القوة المادية اذ ذاك الا ان له قوة أدبية كبرى وهي عطف اهل نجد عليه وعلى آل سعود نظرا لما قاسوه من حكم آل رشيد وخصوصا في زمن عبد العزيز بن متعب فتحالفا على ان يكونا يدا واحدة على ابن رشيد فتجهز مبارك بجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل لمحاربة ابن رشيد فالتقى الجمعان في موضع يسمى الصريف بالقرب من قرية الطرفية التي تبعد عن بريدة ١٥ ميلا في ذي القعدة سنة ١٣١٨ وكانت الدائرة على جيوش مبارك وقد نكل ابن الرشيد بأهالي نجد الذين اظهروا الميل الى آل سعود تنكيلا فظيعا وتتبع فلول المنهزمين فقتلهم صبرا بشراسة نفرت القلوب من حكمه لأمر يريده الله.

(٣) كان الشيخ مبارك لا يخاطب عبد العزيز الا بابنه (ولدي)

* * *

قم وشمر وانهض لفتح الرياض[1]
دار أجدادك السيوف المواضي
آن من ضدنا اللدود التقاضي
هي حبلى قد آذنت بمخاض
بحروب سود طوال عراض —
رفرف الصقر مزمعا بانقضاضٍ وهوى كالشهاب ذي الانوار

* * *

دعوة وافقت هوى ذا اتقادِ
طالما كان كامنا في الفؤاد
طعن ابن الصباح فيها المعادي
ليقدّ الفولادَ بالفولاد
فيقيه تزاحمُ الأضداد
خطة ذات حكمة وسداد تُربك الضد من وراء الستار[2]

* * *

(١) الرياض من بلاد العارض (اليمامه) عاصمة آل سعود بعد خراب الدرعية التي تبعد عنها مسافة ثلاث ساعات دخلت في حوزتهم بعد ان هرب منها دهام بن دواس سنة ١١٨٧ وبعد ظهور الأمام تركي جعلها عاصمة للملكه التي استرجعه وبقيت عاصمة الى اليوم .

(٢) لم يألُ يوسف آل ابراهيم جهدا في حمل محمد الرشيد على محاربة مبارك الصباح ولكنه لم يوفق لاقناعه ويحكى انه قال لابن اخيه وولي عهده عبد العزيز المتعب وهو على فراش موته « لاتعاد ابن صباح فانه يحاربك وهو على مسند » ولكن ابن متعب تولى الملك بصلف وغرور حتى انه كتب الى بلدان نجد يخبرهم بترتيبه على تخت الحكم « وانه ليس لديه الا الحافر وصنع الكافر » أي الخيل والاسلحة النارية فسهل على يوسف اقناعه وكان ماكان .

* * *

* * *

ما توانى فتى العلى بل أجابا
لا يبالى خطاً أتى أم صوابا
قام للموت يستحث الركابا
موقناً انه يلاقي الصعابا
بمضاءٍ يحيّر الألبابا
من توانى عن المآرب خابا ويفوز الجسور بالأوطار

* * *

فمشى بأربعين (١) ذلولا
لا ترى فيهم كهاماً ذليلا
يضرب البيد عرضها والطولا
فدعى بدوها قبيلاً قبيلا
وسبيعاً ومرةً والسهولا
فأتوا نحوه رعيلا رعيلا واتى حرض بالجيوش الكثار

* * *

(١) لما خرج مبارك الصباح بجيوشه الجرار الى الصريف سنة ١٣١٨ كان الامام عبد العزيز معه وسنه اذ ذاك لا يتجاوز العشرين وقد طلب من مبارك قوة يسير بها نحو الرياض ليفتحها فسير معه من موضع يقال له الشوكة مقدار الف رجل فاحتلها ، ولكن حامية ابن الرشيد اعتصمت بقصرها الحصين فحاصرها فيه وكاد يستولي عليه لولا أن وافته أخبار هزيمة مبارك في الصريف فتركها ولوى عنانه راجعاً وفي سنة ١٣١٩ أعاد الطلب غير يائس معتداً على بأسه وايمانه الصادق بالفوز وقد كانت حملة مبارك لاتقاعد على المجازفة بالكثير وقد ذاق تلك التجربة القاسية فكانت الحملة مؤلفة من أربعين بعيراً ليس فيها سوى آل سعود ومواليهم المخلصين لهم وقد زودهم مبارك بمائتي ريال وثلاثين بندقية وبعض الزاد خرجت الحملة وعلى رأسها عبد العزيز فأم البادية يستنفر قبائلها فأتاه شذاذ من العجمان وانضم اليه بنو مرة وسبيع والسهول وغيرهم فاتى (حرض) وقد اجتمع لديه مايقارب الألف والخمسمائة فشن الغارة على قبائل من مطير وقحطان والدواسر وغيرها فأصاب مغنما وظل يغزو القبائل التابعة لابن رشيد ويعود الى الأحساء يتمون منها

* * *

هبم السعد مرة فى الزمان
وتدانت للقطف تلك الامانى
بيد أن العدو ليس بوانى
أرسل ابن الرشيد نحو ابن ثانى (١)
والى الترك كى تشد الموانى
فتنادى البداة بالخذلان وتولوا الى انتجاع القفار

* * *

ما بقى عنده سوى الأربعينا بعد أن ذاق لذة الظافرينا
ضربات لو صادفت منه لينا
لأزالت بالشك منه اليقينا
فهى توهى العزم القوى المتينا
فانتحى برهة الى (يبرينا) (٢)
وقضى شهره بشبه حصار

* * *

(١) هو الشيخ قاسم بن محمد بن ثانى أمير قطر ورئيس عشيرة المعاضيد تولى أبوه امارة قطر من قبل آل خليفه امراء البحرين وكانت قطر من ملحقات امارتهم وكانوا حكاما قبل استيلائهم على البحرين وناب الشيخ قاسم فى الامارة عن أبيه لكبر سنه وكانت نفسه تنزع الى الاستقلال ورفع نير آل خليفه عن قطر وبعد حروب طويلة تم له ما اراد ولكنه لم يكد يتخلص من آل خليفه حتى اصطدم بالاتراك بعد استيلائهم على الأحساء ١٢٨٨ه ومازال يحاربهم تارة ويسالمهم اخرى الى ان ضعف شأنهم واكتفوا منه بنقطة صغيرة فى قطر هى فى الواقع كل او عمر والى ان توفى ١٣٣١ه بعد ان اربى على المائة وقد خلف كثيراً من الأولاد وكان مشهوراً بالكرم والتمسك بالديانة وايراده من تجارة اللؤلؤ التى هى حياة سكان ضفاف الخليج .

(٢) يبرين واحة كبيرة جنوبى الأحساء تبعد عنها ١٥٠ ميلاً وكانت ذات عمران واسع وشهرة كبيرة تدل عليها بقية آثارها الكثيرة ونخيلها الكثيفة الملتفة ، وكثر ورودها فى أشعار العرب المتقدمين وهى الآن من مساكن بنى مرة وتكثر بها حمى الملاريا لوفرة مياهها ومستنقعاتها وبعضهم يغلط فيسميها جبرين والصحيح انها بالياء .

*
* *

حالة لو أصابت الصم ذابا
فالاعادي قد سدت الأبوابا[1]
وغدت تلكم الأماني سرابا
غير ان الحماس زاد التهابا
رب يأس الى النجاة أهابا
عقدوا العزم للرياض ذهابا لم يبالوا للفوز أم للبوار

*
* *

كان فيها للمعتدي حصنان
قام أعلاهما وراء الثاني
فيه تسعون من رجال الطعان
حرس مع أميرهم « عجلان »
بينما سورها العظيم الشان
تركوه مهدم البنيان متداعي البروج بعد الجدار[2]

*
* *

(١) لقد لبى الاتراك طلب ابن الرشيد فوا أبواب الاحساء في وجه خصمه وصعب عليه تموين جيوشه حتى تفرقت عنه خوفاً من اعداء المتألبة وهذا شأن البدو في كل زمان ومكان ولم يبق معه سوى الستين الذين خرجوا معه من الكويت على أربعين بعيراً فضاقت به الأرض بما رحبت وبرغم ان والد الشيخ مبارك الحاح عليه في الرجوع فقد صمم على المضي في سبيله والمجازفة فأما الصدر والصبر.

(٢) لما استولى ابن الرشيد على الرياض قطع كثيراً من نخيلها تشفياً وانتقاماً وهدم أسوارها كلها خشية أن تعصي عليه ثانية وتناوئه واكتفى بالحصن الذي تسكنه الحامية وقد وقف هذا الحصن في وجه الملك عبد العزيز في هجومه الأول ولولاه لتم له الاستيلاء على الرياض ولتمكن من بناء سورها أثناء انشغال خصمه بمحاربة مبارك الصباح قبل الصريف ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها فصار هذا بمثابة درس ثمين له فقد جعل الملك هذه المرة نصب عينيه مهاجمة الحصن وقت فجر نهاراً وعلى غرة وبعبارة اخرى وجه الضربة الى القلب ليتم له القضاء على الجسم القضاء المبرم والاستيلاء على أموره بالكتمان فتم له ما أراد.

وعجلان هذا من مولدي اهل حائل وهو رئيس حامية الرياض وأميرها من قبل آل رشيد.

ليلة السَّطوِ من عظام الليالي
لثلاثٍ خلون من شوال
جاء فيها الكميّ بالأبطال
لنعال من أعظم الافعال

* * *

كيف يسطو عليه والسور عالي ؟
فتصدّى لباب بعض الموالي طالبًا ما لديه من أبقار[1]

* * *

فُتح الباب، بعد قالٍ وقيل،
عرفوه بالصوت بعد قليل،
عمّنا! عمّنا! وهم في ذهول[2]
فتراموا عليه بالتقبيل.
فتخطّى للمنزل المأمول
زوج عجلان فيه ذات نزول علّهُ عندها بذاك النهار

* * *

(١) صمم عبد العزيز على المضي في سبيله فترك يبرين ووجهته الرياض وفي ليلة ٤ شوال سنة ١٣١٩ أناخ على بعد ساعتين منها فاختار من جنده أربعين رجلًا وفيهم اخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي وترك عشرين رجلًا في رحالهم وعندما وصل الى طرف البلد ابقى أخاه محمدًا ومعه ثلاثون رجلًا وتقدم بعشرة الباقين للقيام بمهمته وكان يؤمل أن يجد عجلانا في بيت زوجته خارج الحصن الداخلي وهو واقع في طرف القصر الخارجي ويجاوره بيت لبعض فلاحي أهل الرياض فطرقه عبد العزيز بحجة انه من رجال الأمير عجلان يبتغي شراء بقر للضيف ولعله قال وقيل فتحوا الباب فعرفوه وتراموا عليه يقبلونه فأمرهم بالسكوت وأقفل عليهم الحجرة وتخطى منه الى البيت المجاور فوجد فيه شخصين نائمين فلفهما بالفراش وأودعهما حجرة أخرى وأرسل في طلب أخيه محمد ومن معه فجاؤوا يتسللون ولم يشعر بهم أحد ثم تسللوا الى بيت زوج عجلان وهي من أهل الرياض وأحد موالي آل سعود ولكنه تلك الليلة لم يكن هناك فوجدوها مع اختها وليس في البيت أحد سواهما أيقظهما فاستوتا جالستين برباطة جأش فطلبهما قائلًا لا بأس عليكما اذا سكتما ولم تكد زوجة عجلان تميز وجهه على ضوء السراج حتى عرفته وخاطبته قائلة : (الى صفحة ٢٣)

(٢) عمنا عمنا يا سيدنا سيدنا .

* * *

ليس ملكا ماكان بالترهيب
انما الملك ملك ود القلوب
هو هذا في حالة المغلوب
يتلقونه لقاء الحبيب
زوج عجلان في المقام الرهيب
قابلته بأجمل الترحيب ثم باحت لديه بالاسرار

* * *

كان عندي عجلان ليلة أمسِ
وهو الآن داخل القصر عُيسى
آه عبدَ العزيز تفديك نفسي
أنا أخشى فانه رب بأس
فدعاها الى السكوت بهمس
وغدا وهو في رجاء ويأس يشرب الين فوق ضوء النار

* * *

— انت عبد العزيز !! انت عبدالعزيز !!

فأجابها نعم وسألها عن عجلان فقالت انه الليلة هنا في الحصن ولا يخرج منه الا بعد طلوع الشمس. والله يا عبدالعزيز أنت أحب إليّ من كل شيء في حتى زوجي ولكني أخاف عليك من بأسهم فطمنها وأمرها بلزوم الصمت وأدخل النساء كلهن في حجرة واحدة وأوصدها عليهن واجتمع مع رجاله كلهم في بيت عجلان وكان الليل قد انتصف فناموا قليلاً بعد أن اكلوا شيئاً من التمر وشربوا عليه القهوة ؛ يا لها من حالة تدل على ما يخالج ضمير هذا البطل من الاطمئنان بالفوز والوثوق بالمستقبل. وما لاحت تباشير الصباح الا وهم متأهبون وقد وقفوا وراء الباب وقوف الاسود لفرائسها ينتظرون الفرصة، تلك الساعة الرهيبة ليلها جموا الحصن عند فتحه وكان بابه مقابلا لباب البيت الذي هم فيه تفصلهما فسحة فيها مرابط الخيل الأمير وكان من عادته اذا خرج من الحصن صباحاً أن يتجول فيها ويتفرج على الخيل المربوطة هناك ثم يؤم بيته ليشرب فيه قهوة الصباح عند أهله

* * *

بدت الشمس من وراء الهضاب
فتبدّى عجلان وسط الرحاب
فعدت نحوه ليوث الغاب
فتولى بحيرة واضطراب
ثم أصماه ليثنا بالباب
ماسكا رجله مع الاثواب ورصاص الحراس كالامطار

* * *

افلتت رجله من الكف قسرا
اذ رأى الموت كالحا مكفهرا
كاد يجو لكن ابا فهد كرا
فسقاه كأسا من الموت مرا
صار شفعا بها وقد كان وترا
ثم نالوا من البقية وترا وشفاء النفوس اخذ الثار

* * *

ذر قرن شمس يوم ٤ شوال سنة ١٣١٩ ففتحت خوخة باب الحصن (وهي باب صغير لا يكاد المرء يمر منه يكون في نفس الباب الكبير الذي هو في الغالب موصد) وخرج عجلان على عادته يتجول في الفسحة ثم أم بيته وهم وراء الباب يرقبونه ولا يدري بما خبأ له القدر من مصير فما شعر الا وعبد العزيز قد خرج من البيت يعدو نحوه والسيف مسلول بيمينه ووراءه خمسة عشر رجلا من بينهم أخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي فانقلب راجعا وهو يركض وكاد يدخل الخوخة لولا أن عبد العزيز عاجله فأمسك برجله وقد دخل نصفه ورماه عبد الله بحربة فاخطأته وارتكزت بالباب فانكسرت ولا تزال باقية في مكانها الى اليوم وكأن حبه للحياة ولد فيه قوة خارقة مكنته من اجتذاب نفسه فافلت وقد صعد رجاله الى اعلى الباب واخذوا يطلقون النار على الهاجمين من الكوى (المصاليت) فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة ولكن عبد الله اقتحم الباب وراء عجلان فارداه بطلق ناري وجلله بعد ذلك بالسيف فقضى وصاح عبد العزيز بالباقين فاقتحموا الباب واخذوا يقتلون بحامية ولم يبق منها سوى عشرين تحصنوا ببرج من ابراج القصر ونزلوا بعد أن أمنهم على حياتهم.

ابو فهد كنية عبد الله بن جلوي بن الامام تركي وهو أمير الاحساء الآن

* * *

ثم نادى بحكم آل السعود
وأتاه الاهلون بالتأييد
في نهار على الجميع سعيد
اذ نجوا من ولاة آل الرشيد
بين وال عاتٍ وبين عبيد
ودعاهم من بعد أخذ العهود لبناء البروج والاسوار (١)

* * *

يفقد الملك كل من لا يسوس
واذا لم تهو المليك النفوس
لا تقيه شجاعة وخميس
هكذا ابن الرشيد فهو عبوس
فاتك ظالم غشوم شموس
فارس ان تشب حرب ضروس لم يكن ذا تبصر وافتكار (٢)

* * *

(١) بعد ان احتل عبد العزيز القصر وقتل الحامية نادى منادیه فی البلد (الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن) فاستولت على الناس عاطفتا الدهشة طرفي المفاجأة والفرح فأقبلوا نحو القصر زرافات ووحدانا يسلمون عليه ويهنئونه ويبايعونه على السمع والطاعة ويحمدون الله على خلاصهم من ارهاب ولاة آل الرشيد وعسفهم فقد كانوا ينظرون الى الرياض واهلها نظرات الحقد والبغضاء والاحتقار . فأمرهم لفوره ببناء السور وترميم المتهدم منه فنفذوا ذلك وأتموه في بضعة اسابيع ومن يطلع على دائرته يعلم مقدار ما بذلوه من الهمة والتعب في اعادة بنائه .

(٢) كان عبد العزيز المتعب الرشيد فارسًا شجاعًا وبطلا مغوارا الى حد اللهوج وبلغت به شجاعته درجة من القساوة والسطوة افقدته المرونة السياسية التي هي من شروط الأمراء السياسية واعلى درجة من الشجاعة الطوجاء فطان مثال الجبروت والكبرياء والصلف وتروى عنه حكايات تعد من باب الخرافات لغرابتها يقابل ذلك منه سوء التدبير وعدم الأخذ بالحزم والرأي والتبصر على حد قول الشاعر :

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

مطاولات ومناوشات

١٣١٩ — ١٣٢٢

كاتب الترك مستعينًا فطالا
أمرهم حين سوفوه مطالا
وهو يبغي من الكويت احتلالا
جاهلًا أنه يريد المحالا
أين للترك ان يجيبوا السؤالا؟
خشي ابن الصباح منهم فوالى دولة الانكليز بالاضطرار

* * *

أهمل الامر وهو كان يسيرا
لو تلافاه ، ثم أضحى عسيرا
عندها ابن السعود أضحى مغيرا
وغدا في جنوب نجد أميرا
فرأى ابن الرشيد أمرًا خطيرا
والى حائل أغذّ المسيرا ليوافي بالجحفل الجرّار

استولى عبد العزيز على الرياض وابن رشيد مقيم على الحضر يكاتب الترك وهم يماطلونه ويطاولونه وقد علق آماله كلها على احتلال الكويت ومتى تم له ذلك تمكن من القضاء على حركات ابن سعود ولو بالحصر الاقتصادي ولكنه برغم حضارته فهو عريق في الأفكار البدوية ولا يعلم عن الحالة السياسية شيئًا ما وربما انه لم يحسب حسابًا لانضواء مبارك تحت علم الحماية وقد يكون غير عارف بمعنى تلك الحماية وما هو التزام السياسي بين الترك والانكليز والى اي حد تقف قوتهما وتزاحمهما وولاة الترك لا يعلون مواعدته بالحسنى ومماطلته رغبة في تواصل هداياه وللتظاهر أمامه بانهم اصحاب الحول والطول في هذه المسألة ايهامًا وتمويهًا لئلا تخرج الكبرياء الخاقانية فطل بعلق الآمال على وعودهم ولم يهمه سقوط الرياض حتى قال لما بلغه الخبر (ارنبة مجحرة واهلها مقيمون) واكتفى ببعض سرايا يرسلها وتعود اليه خائبة حتى يكمل الفتح من الاستعداد فأتم بناء الاسوار وشن الغارات على قبائل ابن رشيد وبعض البلاد حتى تم له الاستيلاء على الخرج والحريق والحوطة والافلاج ودواري الدواسر من بلدان نجد الجنوبية وكاتبته البلدان الشمالية طاعة سرًا فرأى ابن الرشيد ما لم يكن في حسبانه بعد ان يئس من وعود الأتراك فلوى عنانه راجعًا الى حائل ليجند الجيوش ويتجهز وقد آلى على نفسه ان لا يدخل حائل الا بعد ان يقضي على حركة ابن سعود وهكذا كان فقد قتل ولم يدخلها

* * *

وأتى زاحفاً رويداً رويدا
جاعلا قطعه للؤونة قيدا
أجنب ابن السعود ينصب كيدا
باعثا للعدو عسراً وزيدا
فأشاعوا عنه فراراً وحيدا
فأتى هاجماً، فصادوه صيدا ولدى الخرج باء بالانكسار

* * *

وانقضى العام كله في هجوم
ودفاع ومُقعدٍ ومقيم
وأتته البلاد بالتسليم
بعد حرب تشيب رأس الفطيم
وانتهى الامر باحتلال القصيم
محور الدائرات بين الخصوم فيه رجحان كفة المعيار

* * *

في اثناء مسير ابن الرشيد الى حائل انتقل الامام عبد الرحمن من الكويت الى الرياض بعد غيبة احدى عشرة سنة . وعاد ابن الرشيد الى الحفر ليقطع الميرة عن الرياض بعد ان عجز عن محاصرتها في مناورات اجراها وفشل فيها وقد تفلتت منه القبائل التي كان يظنها موالية له ولم يجد ابن السعود بدًا من الالتحام معه ومناجزته فتوجه الى الخرج واشاع انه هرب الى الجنوب خوفًا من خصمه فانطلت الحيلة على ابن الرشيد فأقبل مسرعًا حتى نزل على بنبان وهو موضع يبعد عن الرياض عشرين ميلاً فقط وهناك علم ان ابن سعود في حائر سبيع بالخرج فاضطر ان يهاجم الدلم وجرت بينهما عدة وقائع انهزم فيها ابن الرشيد وتقهقر راجعًا الى الحفر واغار على قبائل الكويت وصمم على محاصرتها فاستنجد مبارك بعبد العزيز فوافاه بعشرة آلاف وقد كان خرج منها بأربعين وغزا مع جابر بن مبارك على رأس جيش عرمرم فبلغهم ان ابن الرشيد رجع الى حائل فأغاروا على مطير في "جولبن" ولكن ابن الرشيد قد خدعهم فهاجم الرياض وفيها الامام عبد الرحمن فخرجوا لمحاربته وكسروه وعلى اثر ذلك عاد عبد العزيز من الكويت مستصحبا معه العائلة وجرت عدة وقائع سلمت فيها شقرا وغيرها من بلاد نجد وفي النهاية استولى على عنيزة وبريدة وبلاد القصيم كلها وتم له الاستيلاء على نجد قاطبة بعد ان كسر جيوش ابن الرشيد وسراياه .

البكيرية

١٣٣٢

أصبح الترك في اضطراب شديد
لاحتماء المبارك المعهود
وخضوع القصيم لابن السعود
وهو فيما يرون ضمن الحدود
فأجابوا مطالب ابن الرشيد
وأمدوه بالعطا والجنود جهزوه بالنار والدينار

* * *

بالبكيرية التقى الجمعان
وتلاقى الاتراك بالعربان
وغطا الجو قسطل الفرسان
من غبار في ظلمة في دخان
وشحته الاطواب بالنيران
هو يوم وماله من ثان غير يوم الاعراب في ذي قار

البكيرية قرية من قرى القصيم بين بريدة والرس جمعت فيها الوقعة الحاسمة التي غيرت مجرى التاريخ في جزيرة العرب وانتت بنتيجتين في وقت واحد فقد قضت على نفوذ الأتراك وهيبتهم في نجد قضاء مبرماً وزعزعت ملك ابن الرشيد فلم تقم له قائمة بعدها. لم تكن الدولة العثمانية تحسب لابن سعود حسابا قبل استيلائه على القصيم الذي تعد من جملة الممالك الشاهانية بل كانت توليجا وخصم في نجد لصديقها ابن رشيد ليبقى على الدوام محتاجاً اليها وكانت ترجح عدم الاصطدام بصاحب الكويت خوفا على سفينتها من الصخرة البريطانية الجاثمة هناك اما وقد ضرب ابن السعود على الوتر الحساس وتم له ملك القصيم فلم يكن لها بد من المطالبة الشام ومقابلته وجهاً لوجه فأمدت خصمه بأحد عشر طابوراً من العساكر الشاهانية واربعة عشر مدفعاً وما لا يحصى من الذخيرة والمؤنة والنقود فاضاف الى تلك القوة كلما استطاع ان يجمعه من قبائل شمر وغيرها واتى بتلك الجيوش الجرارة الى نزل البكيرية وفي غرة ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ التقى بعبد العزيز ومعه جموع اهل العارض والقصيم وما انضم اليه من البادية وجرت الملحمة بين الجيشين: بين الترك وممثلهم ابن الرشيد، والعرب وممثلهم ابن سعود فاغارت قبائل هذا على معسكر هذا وتمت الهزيمة على الجانبين سواء بسواء

* * *

لم تحن بعد ساعة الانتظار
حيث باء الاثنان بالانكسار
وتساوى كلاهما بالخسار
فكسوا أرضهم رداء احمرار
من نجيع على ثراها جاري
وتداعى الجمعان بعد الفرار واستقرا كلاهما في قرار

* * *

عاد عبد العزيز عوداً سريعًا
حيث ناداهم الرجوع الرجوعا
فتوافوا وسط القصيم جميعًا
بينما ابن الرشيد ساق الجموعا
لحصار (الخبراء) حتى تطيعا
وهي أضحت عليه حصنًا منيعًا لا تبالي بهول ذاك الحصار

* * *

عاد عبد العزيز بعد الانسحاب الى عنيزة وبريدة بعد ان استوثق من بقاء اهلهما على الولاء وما عتم ان اجتمعت لديه عدة آلاف من بواديي عتيبة ومطير وغيرهم فهجم بتلك الجموع على ابن الرشيد ولكنه في البكيرية ولكنه كان قد غادرها الى الخبراء وخلف فيها معسكره ومؤنه فسمع بالجموع خصمه على البكيرية وفيها ذخائره وعتاده فشد الحصار على الخبراء ولكنها ثبتت أمام ثبات الأسود في غابها ولم تؤثر فيها مدافعه الضخمة التي كان يوالي اطلاقها عليها فضلاً عما ابتلي به اهالي الخبراء من الطاعون الذي تفشى فيهم وسرى اليهم من عساكر الاتراك

* * *

* * *

جاء عبدالعزيز والربانُ
ليوافوا اعداءهم حيث كانوا
فأتاهم في جمعه (سلطانُ)
فتلقاه عندها الفرسان
أول الفجر فاستحر الطعان
قتلى بجيشهِ، والمكان تم اخضاعه بذاك النهار

* * *

ومضى ابن الرشيد نحو الشنانهْ
جامعًا في ربوعها عربانه
مفرغًا كل ماله في الكنانه
وعلى الرس حيث القى جرانه
سئم الكلُ قومَهُ ومكانَه
اذ غدا الموت ينتقي فتيانه بالمواضي وبالوباء الساري

* * *

سمع ابن الرشيد بهجوم خصمه على البكيرية وهي مركز معسكره وفيها عتاده. فأرسل سلطان بن حمود الرشيد ومعه سرية كبرى لصد الهجوم عن البكيرية فالتحموا معه بمعركة هائلة ادت الى انهزام سلطان هزيمة شنيعة وتقدم ابن السعود الى البلدة فاحتلها من يومه وفتك بحامية ابن الرشيد التي فيها وهرب من سلم منهم وطاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى اشرفت على الخبراء عندها تقهقر الى الرس ونزل على الشنانة جنوبا منها وطوق الرس بالحصار وشدد الوطأة عليها ونصب المدافع وشرع يرميها ومع ان أميرها قتل اثناء ذلك الحصار فانها لم تسلم واستبسل اهلوها في سبيل الدفاع عن انفسهم لخوفهم من فظاعته ومن ذلك ندرك سر سرعة استيلاء ابن السعود على البكيرية ووقوف الرس هذا الموقف وطال أمد الحرب ثلاثة اشهر وهم في مناوشات ومطاردات حتى مل الناس تلك الحال فقد انتنت الأمكنة من جثث القتلى وانتشرت الأمراض الفتاكة بين العسكرين والسيف اعظم فتكًا من تلك الامراض الوبائية

* * *

واذكر البدو انهم كالقرقّى (١)
ان رأى الخير من قريب تدلّى
أو رأى الشر من بعيد تعلّى
هكذا فالكثير منهم تخلّى
عن أميريه حين للحرب مَلّا
سئموا الحرب والقتال فولى جلّهم يتبع الكلا في البراري

* * *

أدرك السّأم منهم ابن السعود
وهو دار بعزم ذاك العنيد
فسعى للوفاق وابن الرشيد
باعتانحوه (بفهد الرشودي)
وهو ندبٌ ورب رأيٍ سديد
فأجاب الجبارُ بالتّهديد من يرد نجد فليكن ذا اصطبار (٢)

* * *

(١) القرقّى اسم طائر حذر يضرب به المثل فيقال: (كن حذرا كالقرقى، ان رأى خيرًا تدلّى، اورأى شرًا تعلّى.)
وهذا المثل ينطبق على حالة البدو أتم الانطباق او أنهم قد اخذوا بحكمته ودانوا بمبادئه من قديم الزمان فهم يوالون هذا ويعادون ذاك تبعًا للمطامع ولغية للكسب ولا يحجمون عن الانقلاب اذا آنسوا طمعًا من الجانب الآخر فهم يأتون الى الحاكم متطوعين متظاهرين بالولاء له والعداء لخصمه وليس في استطاعته ان يردهم اذا حاولوا التخلي عنه لأنهم ليسوا من جبوره وتاريخ امراء حريق العرب مفعم بتلك التقلبات

(٢) سرى التذمر في قبائل الخصمين لطول أمد الحرب وانتشار الأمراض خصوصًا وهم في فصل الربيع يريدون ان ترعى مواشيهم وتسمن استعدادًا للقيظ حس ابن السعود بهذه الروح فارسل فهدًا الرشودي من اهالي بريدة ليتوسط بالصلح والهدنة مع انه يعلم بعناد ابن الرشيد وتصلبه وهكذا فقد قابله بالاستهزاء والسخرية والوعد والوعيد لأهالي نجد.

* * *

لا تغروا جهلاً بذي الاعدام
انا ما جئتكم بجيش النظام
أبتغي العود منكم ببسلام
فاستعدوا مني لموت زؤام!
فرماها قبلاً من كلام
هي في الوقع مثل حد الحسام نزادها فهد بالكلام الناري

* * *

قام فهد من بينهم فاستفزا
ما بهم من حمية ثم هزا
بكلام يهيج القلب وخزا
لن تنالوا بعد المذلة عزا
هاجموه فان من عز بزا
فأصاخوا فلست تسمع ركزا ثم قاموا للحرب مثل الضواري

* * *

عاد فهد بمثل ذلك التهديد فقال يخاطب عبد العزيز وقومه ليس لكم
عند ابن متعب غير السيف وما اراه الا كفرعون بني اسرائيل سيقتل
رجالكم ولا يترك الا النساء ان تولي عليكم اثرت كلمات فهد في قلوب
الحاضرين فقرروا مهاجمته مهما كلفهم ذلك . المسالمة
أضاع ابن متعب الفرصة ولم يغتنم جنوح خصمه الى فيجنح لها ويملي شروطه بعز
مع ان خصمه عرف كيف يستثمر صلفه وكبريائه ليوقد الحمية في قلوب جنده ولم يكن التذمر
والاستياء من طول أمد الحرب خاصاً بمعكر ابن سعود فقد قامت شمر تتشكى من نقص
الأموال والرجال وهددت اميرها بالرحيل عنه ان لم يرحل معها فاعتذر بتعذر نقل
العساكر عليه وكانت حجاله قد فقد منها ما ينوف على عشرة آلاف واصبحت جنود الدولة
العلية كلا عليه وبعد الاخذ والرد اتفقوا على ان البدو من شمر يتحملون
قسماً من امتعة الجنود وعتادهم فهم بالرحيل تاركا عدوه وراءه
وهذه الحالة تدلنا على مبلغ عقلية ابن الرشيد وعدم تدبيره فانه رفض الصلح
الشريف الذي عرض عليه ليرحل بدون طائل بل انه رحل رحيل المنهزم
المغلوب فرحيله اضعف من شأنه ورفضه للصلح وتهديده اوقد النار في
قلوب اعدائه وشد دعزائمهم على مهاجمته والقضاء عليه .

* * *

هاجموه على "الشنانة" فجرا
وأروه الفعال كراً وفرا
وانقضى اليوم والهجوم تترى
ثم جاء الدجى فاسبل سترا
فمضى ابن الرشيد يبغي مقرا
وعليه قد اصبح الترك وقرا كيف يحمي جنودهم ويباري

* * *

ناوشوه القتال في الانسحاب
و (بوادي الرُّمَهْ) على قيد قاب
قد دنا حينذاك وقت الحساب
حيث أضحت جنوده في اضطراب
لم تفده الاتراك بالأطواب
اذ تولوا فورًا على الأعقاب ثم لاذ ابن متعب بالفرار

* * *

لما عزم ابن الرشيد على الرحيل ذلك اليوم لم يشعر الا وقد هاجمه العوديون قبيل الفجر وقصدهم من ذلك منعه من الرحيل والقضاء عليه فاشتدت الحرب بينهم الى غروب الشمس وبرغم ذلك فقد انسحب ابن الرشيد من الشنانة وهم يناوشونه القتال ويطاردونه وكانت قبائله قد تقدمته في الرحيل فنصب خيامه ليوهمهم انه مقيم فانخدعوا وعادوا عنه ليستريحوا فتأهب للرحيل وبلغ ابن سعود خبره فبادر بالهجوم عليه واصطدم بعسكر الأتراك فتجالد معهم اما ابن الرشيد فقد نزل الجوعى وهم بمهاجمة قصر ابن عقيل وفيه حامية لابن سعود وكانت الأمداد قد ارسلت اليها وفيها بعض آل مقرن فسبقوه الى القصر وشدوا عزائم الحامية فنصب ابن الرشيد مدافعه وشرع يضرب القصر ولما علم ابن سعود بذلك دعا قومه لمهاجمة ابن الرشيد وحمسهم حتى انه ترك ناقته ونعله ومشى معهم حافيا كأحدهم والمسافة بينهم لا تقل عن عشرين ميلا فلم يصلوا الا بعد منتصف الليل فتركهم يستريحون داخل القصر وبعد ان افاق ابن الرشيد كمنية وافرة من القنابل على القصر بدون طائل عزم على الرحيل عنه فتركوه الى ان حمل اطوابه وعتاده ومشى وجنوده مع العساكر النظامية فجأة الخيل بالاغارة وهجم السعوديون عليه من القصر فأدركوه في وادي الرمه (ينطقونه بفتح الميم وسكون الهاء) وهو أطول واد في جزيرة العرب يخترق القصيم فيمر بين حاضرتيه عنيزه وبريدة وقرى البكيرية والخبرا والشنانة

* * *

ثم عادوا الى الغنائم حالا
غنماً ينهبونها وجمالا
وعتاداً قد أثقل الاحمالا
وصناديق ضمت الأموالا
قسموها على السواء فنالا
كل فرد غنماً كبيرا ومالا
واكتفى ابن السعود بالانتصار

* * *

*

واقعات على ضفافه . في ذلك الوادي في ١٨ رجب سنة ١٣٣٢
وقعت الملحمة الفاصلة طارد السعوديون خصمهم الى وادي الرمه هذا
وهناك نزل ابن الرشيد وبنى بيوت الحرب ليستبسل قومه عندها
فثبتوا للسعوديين وكادوا يصيدونهم لولا ان عبدالعزيز صمد طم بهجمة
فهدم البيوت بيوت الحرب وفرت عساكر الترك من وجهه وعلى أثرها ابن الرشيد
واشتغل المنتصرون بالغنائم عن تتبع الهاربين الى ان خيم الدجى وظلوا بعدها
عشرة أيام وهم يجمعون الغنائم من الاسلحة والذخائر والامتعة والثياب والنقود سوى
الأنعام الكثيرة وقد فرقها ابن سعود كلها على رجاله بالسوية ولم يأخذ
لنفسه شيئاً البتة فأصاب الرجل الواحد منهم مائة وخمسون ليرة ذهبا
وبضعة وعشرون بعيراً الى ما لا يقدر من الأثاث وغيره من
الأشياء الثمينة . وعادت في ارض القصيم (وقعة ذي قار)
ثانية والتاريخ يعيد نفسه فقد قضت هذه الوقعة على نفوذ الترك
كما قضت تلك على نفوذ الفرس اما جنود الترك فقد تفرقوا شذر مذر
ومات منهم كثيرون ونقل ابن السعود كثيراً منهم الى الحجاز والكويت وبقي بعضهم
في القصيم واشتهرت هذه الوقعة باسم البكيرية وان تكن وقائعها جرت في عدة مواضع

مقتل ابن الرشيد

١٣٢٤

روضة ينسبونها لمهنّا
شهدت هول عبرة ذات معنى
ترعب المعشرين انسًا وجنّا
جاءها أربعون شيخًا مسنا
يقطعون الحشيش عدًا ووهنا
فاتاها ابن متعب حيث أفنى تلكم الابريا من الاوزار

* * *

لم يراقب حجاج هذا الزمان
ما أتاه بالبغي والعدوان
فدوى فعله بكل مكان
بينما خصمه بكل زمان
يتصدى للصفح عن كل جاني
وبهذا قد نال اقصى الامانى وانتهى أمر ذاك بالادبار

الحواشيش

بالقرب من مدينة بريدة روضة يكثر فيها العشب ويرصعها الربيع بازهاره تسمى (بروضة مهنّا) ولعله مهنا ابو الخيل يأتيها فقراء اهل القصيم يحشون العشب ويبيعون حشيشهم في البلاد وفي أحد ايام سنة ١٣٢٣ نزل عليها ابن الرشيد فوجد فيها أربعين رجلًا من العجزة ومعهم بضعة اطفال فأحب أن يتلهى بقتلهم انتقامًا من اهل القصيم لما في قلبه من الموجدة عليهم فقتلهم صبرا واحدا واحدا الى ان وصل الدور الى شيخ قد صبغ الهرم لحيته البيضاء وحنى ظهره وقد امسك بيد طفل ينيا هز العاشة وقال: ايها الأمير اقتلني واستبق هذا الطفل فوراءنا عدة أيامى لا عائل لهن بعدنا فكان جوابه ان قتل على مرأى من ابيه ثم ألحقه به. منظر هائل لا يصدر الا من جبار لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلًا ولا يعد الحجاج عنده شيئًا مذكورا هذه هي (ذبحة الحواشيش) التي رن صداها في جزيرة العرب وصارت بقعة سوداء في تاريخ ابن متعب على انه قد نالته من تبكيت الضمير (اذا كان لضمير) أمر هائل حتى صار لا يحتبي بنوم فقد اخذ شبح ذلك الشيخ يأتيه في منامه ويحرمه الراحة والهناء فيفزع منه أشد الفزع الى ان قتل في الموضع بعد مرور عام على فعلته الشنعاء

* * *

ظل عاما والله بالمرصاد
اذ أتى ابن السعود بالجيش "عادي"[1]
فدرى فجأة ، بلا استعداد
ان فى (روضة المهنا) المعادي
فسرى - يبتغيه - بالاجناد
فى ظلام تيمل فيه الغوادي وقتيل السيول كالامطار

* * *

خالطوا بعض جيشه فانزاحا
واستمروا حتى أزاحوا الجناحا
فأتى الشمرى يذكى الكفاحا :
(من هنايا الفريخ) بالجهر صاحا
عرفوا صوته فمدوا السلاحا
نحوه بالرصاص حتى طاحا ذاق كأسا سقى بها بمرار

* * *

(١) العادى فى اصطلاح أهل نجد الهاجم .

انقضت سنة ١٣٢٣ بعد وقعة البكيرية والمناوشات مستمرة بين الخصمين هذا يغزو قبائل هذا وكان ابن سعود قد آنس خيانة من صالح الحسن أمير بريدة وتذبذبا فى امور يطول شرحها وكان ابن رشيد يتنقل فى اطراف القصيم ويجوس خلاله وفى شهر صفر سنة ١٣٢٤ بينما ابن سعود آتيا ومعه ألف وستمائة من قومه يطلب خصمه وقد بلغه انه على الثوير فى عقلة الزنيفى فلم يدركه اذ كان قد رحل عنه قوافى السير بالسرى الى اصيل ذلك اليوم فاضطر الى النزول لشدة الأمطار والعواصف وهناك اتته عيونه فاخبرته ان ابن رشيد على روضة مهنا فبادر بالهجوم ليدركه قبل أن يرحل منها وكانت طلائع الشمرى قد رأت طلائع ابن سعود ولم تنتصف ليلة ١٨ صفر الا وقد تخالط الجيشان وهجم السعوديون على جناح شمر فزحزحوهم وصاروا فى مواضعهم فرأى ابن متعب الراية فى ظلام الليل فأقبل نحوها وهو يظنها رايته وكان حاملها يدعى الفريخ فأقبل نحوها وهو يصيح من هنايا الفريخ من هنايا الفريخ فعرفوا صوته وصوبوا اليه البنادق وهناك سقط عن ظهر جواده صريعا يتخبط بدمائه ولسان حاله يقول :

اشرب بكأس كنت تسقى بها امر فى الحلق من العلقم

وقد قطع رأسه وارسل الى القصيم وانتهت حياة المملوءة بالدماء وآخرها دمه

المصاعب و المتاعب

١٣٢٤ — ١٣٣٠

خبرٌ هز ذكره الأرجاءَ
وبعبد العزيز أحيا الرجاءَ
أتراه تنفس الصعداءَ؟
أن يك ابن الرشيد بالقتل باءَ
فهو أيضا قد ولد الاعداء
فجنوه ناصبوه العداء من قريب ومن صديق جار

(١)

قلب ابن الصباح ظهر المجن
وتمادى في دسه والتجني
يظهر الودتارة والتدني
ويجافي أعداءه ثم يدني
سالكا في خداعه كل فنِ
لم تزده أفعاله غير وهن لانفضاح الشباك والأسرار

كان ابن الرشيد هو الخصم الألد لابن سعود وبقتله يخلو له الجو ويتم له الاستيلاء على نجد من اقصاها الى اقصاها وها قد قتل ذلك الخصم العنيد، افتراه تنفس الصعداء؟ الجواب لا! لئن قضى عبد العزيز على خصمه فان مقتله ولد له اعداء جددا حسبوه المتفرده في نجد اكبر حساب وقد كانوا الى ذلك الحد أكبر معوان له وهذا شأن السياسة في تقلباتها وتلونها فهي لاتفهم للعواطف معنى ولا تعرف الا المصلحة المحسوسة.

وأول من يهمه توازن قوتي حائل والرياض هو الشيخ مبارك الصباح الذي أعان ابن سعود على خصمه أولا ومديد المصافحة الى ابن رشيد بعد ذلك حتى تتعادل كفتا الميزان وحث صالح الحسن أمير بريدة على مؤازرة ابن رشيد ضد ابن سعود ولكن كاتب مبارك وكاتم سره غلط غلطة كبرى قضت على تلك الخطة التي أحكم نسجها ذلك الداهية الكبير فقد جعل كتاب هذا في ظرف هذا بينما هو يغري بينهما فاطلع الولد على نوايا أبيه الذي اعتذر باعذار لم تخفف شيئا وان تظاهر ابن سعود بقبولها.

(٢)

وبدا في القصيم (آل المهنّا)
قد أسرّوا لآل مقرن ضغنا
جعلوا دارهم بُرَيْدة حصنا
طالما هم خانوه معنى ومبنى
فعفا عنهم حنانًا ومَنًّا
ثم عادوا غدرًا وبالعفو ثنى (١) فبغوا تلك خلة الاشرار

* * *

(٣)

وهنا جاء (سامي الفاروقي)
ليضم القصيم تحت (فُرُوق)
ساعيًا في البلاد بالتفريق
فغدا من أموره في ضيق
ورأى في الرجوع خير طريق (٢)
حملوه وجنده كعتيق وهو قد جاء حاميًا للديار

(١) آل مهنا من عنزة وهم امراء بريدة انتزعوا الامارة من اصحابها آل عليان مؤسسي بريدة واصحاب الحق الشرعي فيها وقد ارت المنازعات بينهم الى ان قتل مهنا ابو نخيل في أيام عبدالله الفيصل وقد آنس اولاده من الامام ميلًا الى خصومهم لاعتقاده انهم اصحاب الحق في امارة بريدة فحقدوا عليه وبقي هذا الحقد كامنًا فيهم لآل سعود حتى ظهر في شخص صالح الحسن ومحمد ابي نخيل فقد لعبا دورًا مهمًا في حالة القصيم فكاتبا ابن الرشيد والأتراك وعاهدا ونقضا وتعددت منهما الخيانات والثورات في أمور يطول شرحها فقضوا على امارتهم بأيديهم بعكس آل سليم امراء عنيزة الذين أقاموا على الوفاء والاخلاص فهم لا يزالون امراء في بلادهم حاكمين.

(٢) أرادت الدولة العلية أن تسترعظمتها بعد وقعة البكيرية بصلح شريف فأرسلت خمسة طوابير بقيادة فيضي باشا وبعده صدقي باشا وطلبت خضوع القصيم لها وجعلة منطقة حيادية بين الأميرين ولما لم يقبل أهل نجد بذلك بقيت الجنود مرابطة في الشيحية وعادت الحرب بين الأميرين الى ان قتل ابن متعب واستبدلت الحكومة صدقي باشا بسامي باشا الفاروقي الذي جاء متهددًا مرغيًا مزبدًا وبعد عدة مفاوضات ومناورات انتهت باخطار من عبدالعزيز، قبل سامي بالرجوع الى المدينة على ان يرحلهم عبدالعزيز اليها وفعلًا رحلهم واصحبهم بعبدالرحمن بن عبدالله آل سويلم أمير القطيف الآن وبعد ذلك جاءت الارادة السنية بالشكر والالقاب.

(٤)

ثم شبّ الحريق بالنيران
اذ ورت فيه فتنة (الهزاني)
لامور في نفسه وأماني
وتلاه آل السعود الأدانى
فمضوا لاحئين بالعجمان
بعد عفو أنالهم وأمان هكذا فالحليم بالاقتدار

* * *

(٥)

ثم جاء الشريف يقصد نجدا
جامعًا حوله البوادي جندا
مالئًا كتبه وعيدًا ووعدا
فلقي جنده هنالك (سعدا)
أسروه غدرًا وقد كان فردا
ثم أرضاه حين أعطاه عهدا ظل عند الاتراك كالتذكار

(١) الحريق بلدة واقعة على وادي الفرع في مضيق بين جبلين واهلها وأهل الحوطة من قبيلة بني تميم ويحكم الحريق آل الهزان من عنزة وفي سنة ٢٤٨ جرت بينهم فتنة قتل فيها بعضهم ولم يخضعوا لحكم الشريعة فحاصرهم عبد العزيز الى أن سلموا وقد طلقهم بشفاعة قاسم بن ثاني أمير قطر . اما ولاد سعود بن فيصل فقد نزعة الاستئثار بالملك من جدهم سعود فبعد أن خلصهم عبد العزيز من ابن رشيد اخذوا يحاولون تنفيذ ما يجول في نفوسهم فأتوا الى الخرج ليستقلوا به فأخرجوا منه ثم لجئوا الى الحريق وفي نفوس الهزازنة ما فيها فاتحدت المكاسب وانضمت اليهم الحوطة فهاجمهم عبد العزيز واخضع الحريق والحوطة وقتل بعض الهزازنة وعفا عن آل سعود وبعضهم لجأ الى العجمان ولكن الشيخ مبارك توسط في الصلح بينهم فاخلدوا الى السكينة بعد أن تعدت منهم الفعال وتعود منه الصفح والعفو خشية على الرحم ان تقطع وخوفًا على تاريخ آل سعود الأبيض ان تتلوث بما تلوث به تاريخ بيت الرشيد وغيرهم .

(٢) في سنة ١٣٣٠ خرج الشريف حسين من الحجاز بجيوش جرارة الى نجد وانضمت اليه قبيلة عتيبة وغيرها من بوادي الحجاز واتفق أن عبد العزيز ارسل أخاه سعدًا الى عتيبة ليستنفرها وعوضًا من ان تخذه غدرت به فسلمته للشريف حسين الذي جعله وسيلة يهدد بها ابن سعود ويطلب منه الرضوخ لمطالب الاتحاديين الذين جهزوه للغزو نفسه وهي الاعتراف بتبعية الدولة وأن يدفع لها ستة آلاف مجيدي سنويا وكانت الظروف سيئة من كل جهة اضطرت عبد العزيز ان ينهي المسألة بواسطة خالد بن لؤي فوقع المعاهدة لينقذ أخاه ويتفرغ لشؤونه الداخلية وما كانت تلك المعاهدة الا حبرا على ورق بقي في السجلات وكان في سلة المهملات .

فتنٌ لو اصابت الطودها لا
زلزلته فى حكمه زلزالا
خلّ فيهن ثابتًا ما زالا
وضع السيف للعلى والنوالا
فاذاق المشاغبين نكالا
(يخلق الله للحروب رجالا) لا يهابون كثرة الاخطار

الترك والعرب

* * *

زال فى الترك حكم الاستبداد
واقاموا دستورهم (برشاد)
وتولت تدبير أمر العباد
فئة لم تكن بذات سداد
من دواهي (جمعية الاتحاد)
أوقعت ملكهم بأيدى الاعادى وبنته على شفير هار

فى سنة ١٣٢٦ حدث الانقلاب العثماني وخلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولى السلطان محمد رشاد الخامس مقيدًا بالدستور واضحت السلطة المطلقة بيد رؤساء جمعية الاتحاد وفى مقدمتهم أنور وجمال وطلعت :

كان عبد الحميد بالامس فردًا فغدا اليوم الف عبد الحميد

وعوضا من ان يلتفتوا الى موضع الداء ومواطن الاختلال وينفذوا برنامجهم الذي ملئوا الدنيا به ضجيجا (حرية، عدالة، مساواة) عمدوا الى تنفير العناصر العثمانية وتوسيع شقة الخلاف بين الشعوب المحكومة والحكومة فوجهوا كل اعتنائهم الى بث الدعوة الطورانية وتتريك العناصر العثمانية فنفرت منهم القلوب وانتشرت فكرة الاستقلال والانفصال في سائر الامبراطورية العثمانية وفى مقدمتهم الأمة العربية فاخذ الاتحاديون ينظرون الى العرب نظرة الغضب والحقد والبغضاء ويوجهون قواهم ودسائسهم لخمد شوكة كل من يرون فيه قوة ويخشون ان تلتم عليه الأمة العربية وأول من خصوه بقسم وافرض دسائسهم هو عبد العزيز ابن سعود (يقضى الله امرا كان مفعولا)

* * *

أنشئوا دعوة الى تورانا
وتغنوا بفتح (جنكيزخانا)
وأرادوا الاكراد والعربانا
وسواهم أن يذعنوا اذعانا
بذروا من نفاهم أضغانا
أججت من جنونهم بركانا في جميع الشعوب والاقطار

* * *

دعوة قربتهم للتلاف
قابلتها الشعوب باستخفاف
ثم لما حمى وطيس الخلاف
قام حزب يدعو الى الائتلاف
ويراعي الاقوام بالانصاف
ويجيب استقلالهم باعتراف تحت ظل الهلال لحكم اداري

* * *

*

* * *

قاوم الاتحاد قولا وفعلا
ذلك الحزب ثم أفناه قتلا
وبنو يعربا لاباة الأجلا
هم أشد الشعوب عزما وحولا
لن يقيموا كلا على الضيم كلا
قرروا الوحدة العزيزة حلا
يا لها فكرة سرت بانتشار

* * *

المخاطرة الثانية

فتح الأحساء

١٣٣١

هو ذا ابن السعود للعرب رمز
وزعيم الى العلى مستفز
فاذا عز فهو للعرب عز
فاستشاطوا غيظاً عليه وهزوا
كل أعدائه تغير وتغزو
حركات فيهن همز ولمز حركت منه كامن الاوتار
اكتفى قانعاً بنجدٍ كفافا
فرأى من جمال باشا اعتسافا
فاذاق الاذناب سماً ذعافا
اذ دهى ابن الرشيد والأشرافا
ثم أمّ الاحساء والاسيافا
وأتى بالنبي بجل الخلافا وهي حد لكل خلف بارٍ

كان سلاطين آل عثمان وآخرهم عبد الحميد يرون في آل سعود أكبر خطر على الخلافة الاسلامية
ويحسبون لقوتهم أكبر حساب فكانت حروب الدرعية وما تلاها من حرب الى كانت المحاولة الأخيرة في
وقعة البكيرية ورجوع سامي من الشيخية ولما ملك الاتحاديون مقاليد الحكم وقاموا بالدعوة الطورانية
المبنية على تركيك العناصر لم يرق في نظرهم بقاء ابن سعود مسيطراً على نجد كلها بلا منازع
وكانوا قد نقضوا يدهم من آل الرشيد فمدوا الى الشريف حسين وسعدون وغيرهم يدسون له
ويقاومونه ناهيك بما تقوم به متصرفية الأحساء من اغراء البدو بين آن وآن
وفي الأخير أرسل مندوبه الى بغداد بطلب من واليها جمال باشا السفاح فلم يسمعوه
الاعبارات التهديد والوعيد كل هذه الأمور اوغرت قلب ابن سعود عليهم فأحب أن
يقضي على آخر سلطة لهم في جزيرة العرب وهي الأحساء والقطيف وان يحكم السيف
فهو الحكم الفيصل فصمم على اخذ الأحساء واستعادة تراثه القديم ولكن هناك عدواً آخر أقوى
شكيمة من العسكر هم العجمان الذين لهم مصالح في الأحساء من سيطرة وغيرها ولا يهون عليهم ذهابها
من يد الأتراك فضرب لهم موعداً في الحال ليغزو مطيراً اضدادهم وبذلك أبعدهم من اطراف
الأحساء واتى بجنوده الحضر من أهل العارض وكان أهل الأحساء قد سئموا
حكم الأتراك لاضطراب حبل الأمن واختلاله وسيادة الفوضى والبدو والى
ان ظل الرجل لا ينام في فراشه الا وهو متوسد بندقيته المحشوة اتقاء للطوارئ

* * *

فأتى في جيوشه ابن الأمام
ساترًا ما يريد بالايهام
جاعلاً قصده امتيار الطعام
فأناخوا بالعين تحت الظلام
ثم جاؤوا مشيًا على الأقدام
صعدوا للمحافظين النيام وهم بعد سكرهم في خمار

* * *

ليلة الخمس من جمادى الأولى
أكمل الجيش في البلاد الدخولا
رافعين التكبير والتهليلا
حيث فر الأتراك منهم ذهولا
ليس يدرون للنجاة سبيلا
ثم نادى في السور عرضا وطولا ان عبد العزيز رب الدار

* * *

في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣١ غادر عبد العزيز الرياض بجيوشه ونزل على الخفس
واغار على بني مرة وقد استراب الأتراك منه فأرسلوا يستفهمون
عن نيته فأجاب انه لاينوي الا امتيار الطعام وفعلا مون جيشه
واوهمهم انه يريد العودة الى الرياض وضرب موعدًا للعجمان في الشمال وقصد
ابعادهم واتى يجد السير الى ان نزل على عين [illegible] بقرب الأحساء
ومشى ومعه ستمائة من الحضر على اقدامهم تحت استار الظلام في
ليلة ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ ومعهم الجذوع والحبال الى ان أتوا الى السور
من الجهة الغربية فسلقه منهم عشرة رجال والقوا الحبال الى اصحابهم فسلقوه
وكان الحراس بعدان انتبهوا ينادونهم ولا يجيبهم أحد فحدثت ضجة ارتجت
لها البلاد وتراكض الاتراك الى القصور المحصنة داخل الكوت والمبرز
وارتبك الأهالي لايدرون من هو الهاجم وبعدان استولى عبد العزيز على
البلد أمر مناديا ينادي ان الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن عندها تهللت
وجوه الناس واقبلوا اليه زرافات ووحدانا يهنئونه ويبايعونه
على السمع والطاعة أما المتصرف ومن معه فقد لجئوا الى قصر ابراهيم
داخل الكوت وهو قصر حصين محكم مملوء بالزاد والذخيرة .

* * *

ليلة (الكوت) وهي خطب خطير
عند عبد العزيز أمر كبير
ضاق عن وصف عزمه التعبير
لاينال المرام الا الجسور
لم تحل دونه قلاع وسور
فيه جند من النظام كثير وهو من أهلها بلا أنصار

* * *

أصبح الناس كلهم فرحينا وأتوا في عهودهم طائعينا
وبقي الترك يملكون الحصونا الف نفس كانوا وبضع مئينا
أصبحوا في حصونهم قابعينا يطلبون الأمان والتأمينا
حين خافوا من لهجة الانذار

* * *

في ذلك اليوم سلمت البلاد كلها لعبد العزيز وانت وفود الأهالي للتهنئة
ولم يبق الا الأتراك مع المتصرف داخل الحصون وعددهم يتجاوز
الألف وخمسمائة وفي الصباح شرعوا يلقون المدافع على
البلاد فكانت طلقات طائشة فلم تصب أحدًا وقد اخذ منهم
الرعب كل مأخذ وفي تلك الأثناء قبض على أحد الموظفين
الأتراك فارسله عبد العزيز الى المتصرف ليخيره بين التسليم
او الهجوم في الليلة الآتية فقبل المتصرف بالتسليم

.....

الكوت في الاصطلاحات الأخيرة بمعنى الحصن او القلعة ولا يعرف أصل
تسميتها والكوت في الأحياء بلدها الحصين والطفوف يقال: الكوت وما أحاط
به من البيوت وقد بناه الأتراك في استيلائهم عليها سنة ١٤ بعد انقراض
دولة الأجود العقيلي منها .

* * *

* * *

عمّهم مع سلاحهم بأمانِ
احترامًا للجندي العثماني
فمشوا للعقير باطمئنان
لم يروا غارةً من البدوان
بخفير فردٍ بلا أيّ ثاني
إنّ ذا من عجائب الأزمانِ (١) ربّ فردٍ كالألفِ بالاختبار

* * *

إن فتح الأحساء أحدث رعبًا
فترى (قاسم ابن ثاني) هبّا
وهو من أكبر المحبين قربا
خلق الله للسياسة قلبًا
لا يراعي لدى المصالح قربى
غير أن الحمام جاء فلبّى (٢) ربه بعد أطول الاعمار

* * *

(١) قبل التصرف بالتسليم فأعطاهم الأمان وأذن لهم أن يستصحبوا كل ما معهم من الأثاث والأمتعة ولم ينزع سلاح الجنود وقد قال للمتصرف انسا نحترم الجندي العثماني فلا ننزع سلاحه منه وقد خرجوا بقافلة كبيرة ولم يخفرهم سوى رجل واحد من رجال عبد العزيز وهو أحمد الشنيان رسوله إلى جمال باشا فلم يعارضهم أحد في الطريق بعد ان كانت أمثال هذه القوافل في زمن الأتراك امنيةً من امانى البدو الذين يتدينون على منهوبات القوافل فيشنون عليها الغارات الى ان وصلوا العقير بسلام فجهزهم بالسفن الى البحرين ليسافروا منها الى العراق

(٢) كان الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر من اعز أصدقاء عبد العزيز وأحبهم اليه تربطهم رابطة العقيدة السلفية وحسن الجوار وفي سنة ١٣٢٣ استنجد قاسم بعبد العزيز على اخيه أحمد بن ثاني ربى مرة فقد عصوا عليه وكادوا يخرجونه من قطر فبادر اليه في وقت كان القصيم يغلي فيه بمراجل التقلبات فضرب الثائرين ضربة أعادت للشيخ قاسم كامل نفوذه وسلطته وللمودة نفسها قبل شفاعته في الجزازنة وآل بسام بعد ان رفض توسطات أقرب الناس اليه ولكن الايام التي قلبت قلب مبارك زرعت الخوف والريبة في قلب ابن ثاني فغضب غضبة شعواء وارسل كتب الاحتجاج محادة للهجت الى عبد العزيز يلومه على اخذه الاحساء ولكن الحمام عاجله قبل ان يتلقى الجواب فقد انتقل الى جوار ربه بعد أن ناف على المائة من عمره وهو من امراء العرب العصاميين المشهورين رحمه الله

*
* *

وكذاك البحرين قامت بناسِ
من مريدي دار الوكيل السياسي
خنسوا للفلول بالوسواس
ثم أحيوا آمالهم بعد ياس
فاستقلوا تلك السفين الرواسي
وأتوا حين غفلة الحراس علّهم يغسلون ثوب العار

* * *

هاجموهم ولات حين هجومِ
فانثنوا بين متخن وكليمِ
ثم فازوا منه بعفوٍ كريمِ
أيّ حلم رأوا وأيّ حليمِ
كل يوم يأتي بفضل عظيمِ
مالك القلوب قبل الجسوم وبه سار عاطر الأخبار

* *
*

لم يكن ابن ثاني وحيداً في تخوفه من استيلاء ابن سعود على الأحساء المجاورة لبلادة فهناك أيضا امراء البحرين من آل خليفة ومعهم وكيل دولة بريطانية السياسي في البحرين لم يرق لهم أيضاً ان يكون ابن سعود على مقربة من جزيرتهم التي خضعت سابقاً لأجداده مثل قطر وهي أقرب إلى الأحساء من قطر فلما وصلت العساكر إلى البحرين في طريقها إلى العراق جاءهم أحد المقربين من دار الوكالة والمتصلين بالحكومة أيضا فرين للتصرف الرجوع إلى العقير والاستيلاء على القصر ولامه على التسليم بدون مقاومة تذكر وكانت في البحرين اذ ذاك باخرة لآل بسام فأخذوها ومعها سفن اخرى فأتوا بها إلى العقير على حين غفلة من حامية القصر فهاجموا أحد المراكز الصغرى فاحتلوه ولكن الحامية قابلتهم بالمثل فاستعادته منهم وكسرتهم بعد ان قتلت منهم ثلاثين رجلاً وبلغ الخبر عبد العزيز فجاء مسرعاً فوصل بعد منتصف الليل فوجد الحامية قد قامت بواجبها خير قيام وقد قابل الأتراك بالحلم والصفح حرصاً على عادته فجهزهم ثانية وأعادهم من حيث أتوا . وكان قد ارسل سرية بقيادة الأمير عبد الرحمن بن عبد الله السويلم فاستولت على القطيف واخرجت من فيه من الأتراك وكان احتلال الأحساء والقطيف خير جواب لتهديدات اجمال باشا

* * *

كان حكم الأتراك حكماً عجيبا
لقي الناس منه أمراً عصيبا
قط ما أمّنوا هناك دروبا
لا ترى ان شكوت ظلماً مجيبا
حاز كل من البداة نصيبا

فأذال الاله بالخبث طيبا (١) من أمان ونعمة وسيار

فغدت نجد دولة في الوجود
فاتتها الوفود تلو الوفود
هذه الترك في ثياب الودود
وبنو التيمس في جميل الوعود
يتبارون في صكوك العهود

ثم فازت جهودهم بعقود (٢) لفحتها الحرب الضروس بنار

* * *

(١) ملك الأتراك الأحساء والقطيف واطرافهما المرة الأخيرة أربعا وأربعين سنة وكأنهم جاؤا ليشروا الفوضى والاختلال في ذلك القطر الزراعي الغني بدل ان يبثوا فيه الاصلاحات والظاهر انهم لم يتشبثوا بحكمه مع ما كان يكيدهم من الخسائر الاليدعوا لهم التملك في نجد فقد كانوا يدعونه (نجد ولايتي) على ان السبل تقطعت لضعف هيبة الحكومة في نفوس البدو حتى بلغت بهم الجرأة الى انهم ينهبون الاكالي ويأتون بمنهوباتهم فيبيعونها في السوق علناً فلا يجرأ أحد أن يطالب بها ضف الى ذلك تحكمهم في رقاب الناس وبيوتهم مما يطول شرحه كثيراً والناس تتناقل عنه أحاديث في غاية الغرابة

(٢) اطل ابن سعود بعد فتحه الأحساء والقطيف على البحر على شاطئ الخليج الفارسي من دوحة سلوة في قطر الى بلبول بقرب الكويت والخليج من طرق الهند أيضاً وفيه شيخ الامتان المخيف وبالطبع وجد الاسد البريطاني جاثماً على سطح الخليج المتموج وما كان بد من تبادل المفاوضات والتعارف على رمال العقير آنا وعلى البصيحية بقرب الكويت تارة فكان تفاهم ودي وان لم تكن ارتباطات معنوية بعد . أما الترك فقد عادوا مصافحين موالين ولكن بعد خراب البصرة وهذا وقد ترأس السيد طالب باشا النقيب ينجح في عقد المعاهدة العربية التركية على مآد البصيحية فتأتي الموافقة عليها من الباب العالي مقرونة بالشكر وان كان وراء الأكمة ما وراءها ولكن الحرب العظمى مزقتها شذر مذر

الحرب الكبرى

١٩٣٢

أشعلوها في الغرب حربًا ضروسا
جعلت أجمل البلاد وطيسا
وأطارت عن الجسوم الرؤوسا
ثم أفنت أموالهم والنفوسا
حالف الانكليز فيها الروسا،
وفرنسا: يحاربونا النموسا مع بروسيا والترك والبلغار

* * *

ويلها عم في جميع البلاد
من حصار مشدد وحصاد
وشعوب تنحاز للأضداد
ذا لهذا وذا لذاك يعادي
وغدا ابن السعود بالمرصاد
واقفا لائذا بحصن الحياد تارة ينثني وطورا يداري

في سنة ١٩٣٢ رمى الشاب الفوضوي قنبلته في سراجيفو فكانت الشرارة التي اشعلت الحرب العظمى. سرت تلك الشرارة الى هشيم المطامع والتزاحم فتأجج نارًا امتد لهيبها الى كافة أنحاء العالم وهناك على حدود نجد تصادم النسر الألماني (وراء الترك) بالأسد البريطاني على شواطئ دجلة والفرات، وفي سوريا ومصر والحجاز. وأصبح شبح الحرب على قاب قوسين من الجزيرة العربية فكتب ابن سعود الى الشريف الحسين بن علي والى الشيخ مبارك الصباح والى سعود بن عبد العزيز الرشيد يقترح عليهم ان يعقدوا اجتماعا يتداولون فيه عما يجب ان يفعلوه في تلك الظروف وان يكونوا يدًا واحدة في الدفاع عن حقوق العرب اذا حصل عليها اعتداء من أحد المتحاربين وان يقروا الخطة التي يتمشون عليها في معاملة الدول المتحاربة فأرسل الشريف ابنه عبد الله فعاد كما اتى وابن رشيد على انضمامه الى الأتراك وفي ذلك الوقت اتاه السيد طالب مندوبًا من قبل الترك وجاءه وفد آخر من الحجاز يرأسه الألوسي ومعه هدايا بلد رسل الانكليز أيضا ولكنه آثر الحياد والوقوف موقف المتفرج ولم يشغل بال ابن الرشيد المغرم من الدور بالمال والعتاد

قام بالبيت عابدٌ ربّاني
عائذاً بالحطيم والاركان
من مروق الأتراك والعصيان (١)

* * *

واذكر ابن الرشيد في العربان
خادم الملك من بني عثمان
آذجوه بالأصفر الرنان وسلاح من (ام خمس) القِصار (٢)

وقعة جراب

١٣٣٣

نفذ ابن الرشيد فيما يليه
ما تقول الأتراك أو تمليه
حاصرًا همه بثأر أبيه
فأتى للقصيم لا يثنيه
أحدٌ، تقدح الضغائن فيه.
في (جراب) التقى بمن يبتغيه فتلاقى البتار بالبتار (٣)

(١) اشارة الى الشريف الحسين بن علي شريف مكة وسيأتي ذكر ذلك في موضعه عند الكلام على الخلافة الأسلامية.

(٢) في الوقت الذي تم فيه عقد المعاهدة بين ابن سعود والدولة العثمانية بوساطة السيد طالب علي نقيب البصيحية اجتمع سعود بن عبد العزيز الرشيد بسليمان شفيق كمالي والي البصرة بقرب بلدة الزبير وتم بينهما التحالف على حرب ابن سعود على ان يكون منه الرجال ومن الدولة العتاد والمال فأعطته عشرة آلاف بندقية ومعها ذخائر وأموال كثيرة أخذها الأمير الشمري الشاب ليستعين بها على قتال خصمه.

(٣) جراب من مياه القصيم التقى فيه ابن سعود ومعه حضر أهل العارض ومطير والعجمان بابن رشيد ومعه حضر حائل وبادية شمر وبحيثان بكاد ان تتكافآن في العدد وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٣ فأغارت مطير على جيش ابن رشيد وخيامه فاكتسحته ووقعت الهزيمة عليه ولكن العجمان الذين تغلي قلوبهم حقدًا على ابن سعود لاستيلائه على الأحساء كما تقدم أحبوا الانتقام فتراجعوا بخيلهم منهزمين فتمت الهزيمة على الجيشين فكانت الفائدة للبدو الذين نهبوا اموال المعسكرين والضرر على الترك الذين يئسوا من حليفهم وقد كانوا يرشحونه للقضاء على ابن سعود استعدادًا لمحاربة الشريف بعد ان شموا منه رائحة الخيانة والمفاوضة مع الانكليز للقيام بالثورة العربية

* * *

في حراب تكافأ الخصمان
جند هذا بقدر جند الثاني
فاستمروا في جولة وطعان
فاز عبد العزيز بالرجحان
فدهته خيانة العجمانِ
فغدا الغنم قسمة البدوان والاميران أصبحا في انكسار

العجمان

١٣٣٣

قد تعرّف معي الى «العجمان»
هم قبيلٌ ينمى الى قحطان
رحّل يقطنون في نجران
ثم جاؤوا الاحساء منذ زمان
فأناخوا من عسفهم بجران
شبهوهم في العرب بالألمان في اتحاد وقوة واقتدار

العجمان

العجمان قبيلة من القبائل اليمانية تنتمي في نسبها الى همدان من قحطان كانت في السابق تسكن بادية نجران وفي منتصف القرن الماضي انتقلت الى نواحي الأحساء حيث السلطة هناك مستتبة للقبيلة بني خالد وكانت سياسة الأمام تركي تقتضي اضعاف بني خالد بمزاحمة سواهم فرحب بالعجمان وبرغم قلة عددهم تمكنوا من مزاحمة الخالديين واستأثروا بالسلطة دونهم وهم مشهورون بالصرامة والحمية لبعضهم بعض وفيهم التقلب والغدر وهاقد نسوا فضل الامام تركي عليهم وناصبوا ابنه الامام فيصل العداء فسير اليهم ابنه الأمام عبدالله فاوقع بهم في «مَلَح» وكاد يفنيهم بعدها بعام في وقعة «الطبعة» بقرب كاظمة على خليج الكويت ثم أجلاهم الى نجران وبعد ولايته واختلافه مع أخيه سعود ذهب سعود الى نجران فاجتمعوا عليه وآزروه وجاؤوا معه بناصرونه وليثأروا باسمه من أخيه فكانت واقعة «جودة» المشهورة ولهم فيها يد محمودة وقد اشتهر منهم في تلك الحروب رئيسهم راكان بن حثلين وهو أحد الفرسان المشهورين والشعراء المجيدين وآل حثلين من الناجعة ولهم الزعامة على القبيلة كلها

ليس في البدو مثلهم من صلاب
جعلوا الترك قبل كالألعاب
وغدوا في الحسار سول خراب

* * *

هوذا ابن السعود ليس يحابي
اذ يحاسبهم أدق الحساب
أسلموه بالغدر يوم جراب وأغاروا على غريب الدار

* * *

فأتاه مبارك ابن الصباح
ملقيًا في الجراب باقي القداح
بينما ابن السعود دامي الجراح
يا بني العجمان جاؤوا مراحي
ثم نالوا من ماله المستباح
الغياث، الغياث فاسمع صياحًا يا بني انتقم من الفجّار

* * *

لما تولى الترك على الأحساء سنة ١٢٨٨ ازداد العجمان جرأة وصرامة
حتى اصبحوا الحكام الحقيقيين في الأحساء فاكثروا فيها الفساد والنهب، والولاة
يلاطفونهم ويخشون جانبهم حتى ان بعضهم يشاركهم في الأعمال التي يأتونها ليأمنوا
على انفسهم منهم ولما اراد عبد العزيز أخذ الأحساء اعدهم عنها بحيلة كما تقدم
فلم يعلموا الا وقد قضي الأمر فصبروا على مضض واخذوا يتحينون الفرصة فانتهزوها
في وقعة جراب فكانت خيانتهم سببًا لهزيمته ولولاهم لكان من المنتصرين
وكانوا اذ ذاك على غير ما يرام مع الشيخ مبارك الصباح فاغاروا أيضًا
على (عريب دار) وهم خليط من القبائل تابعون لحكومة الكويت
فنهبوهم وعادوا الى الأحساء بدون مبالاة وقد اقبل القيظ بسمومه
وحره وكان عبد العزيز في نجد وقد عقد صلحًا مع خصمه ابن رشيد ليسلم شئونه ويتربص
ولكن الشيخ مبارك كتب اليه يستنجده على العجمان ويطلب ان يسترد المنهوبات منهم
فاعتذر بالقيظ فالح عليه وكان عبد العزيز يخشى من ابن رشيد ان ينقض عليه
وينقض العهد فيما اذا اشتبك مع العجمان بحرب وهم لا يردون المنهوبات الا بالقوة
ولكن الشيخ مبارك الح عليه وتعهد له ان يمده بالمال والرجال وقت الحاجة
فلم ير بدًا من الذهاب الى الأحساء ليسترد المنهوبات ويؤدب العجمان على أفعالهم

فانتقى من جموعه المنجعانا
زمن الصيف يطلب (العجمانا)
فانتحوا في الحساء عنه مكانا
فاقتفاهم وقد أتوا (كنزانا)
في ظلام فكان ماقد كانا
كسروا جمعه وان الحصانا ليس يخلو من كبوة وعثار

* *
*

عاد يخفي في الجسم جرحا خطيرا
وهو ينعي أخاه (سعدا) الصغيرا
فأقام العجمان فيها شهورا
جعلوه وسط الحسا محصورا
ثم نادى صديقه مستجيرا
فأتى (سالم) يجد المسيرا
بينما الحرب دام باستمرار

وصل عبدالعزيز إلى الأحساء فأحس العجمان بالشر فألفوا فلولهم
واجتمعوا بقضهم وقضيضهم وانتحوا شمالي الأحساء إلى جهة الشرق
ونزلوا بجانب البرق وقد صمموا على القتال ولم يكن لدى
عبدالعزيز من القوة ما يكفيه لتعذر جمعها في وقت القيظ وعلى إثر وقعة
حراب مباشرة فجند قوة كبيرة من أهل الأحساء وبعض البادية من
بني هاجر وبناء على إلحاح أخيه سعد عزم على مهاجمتهم في الليل
وكانوا قد نزلوا كنزان مما يلي البرق فأتاهم بتلك الجموع المختلطة
وكانت لهم في الأحساء عيون تطلعهم على حركاته فعلموا بذلك
ونصبوا البيوت وكمنوا وراءها وكانت ليلة حالكة الظلام فلم تكد الجموع
تهاجم البيوت حتى اختلط الحابل بالنابل وظل الناس من أهل الأحساء
يفتك بعضهم ببعض وتمت الهزيمة وقتل سعد بن عبدالرحمن في تلك الليلة
وجرح عبدالعزيز وبعد المعركة أتى العجمان من الفظاعة شيئاً عظيماً وقد اجترؤوا
فاقتربوا من البلدين وشون القرى والحصون القتال وتت من الرياض نجد يقودها
محمد بن عبدالرحمن واستنجد عبدالعزيز بالشيخ مبارك فانجده بمائة وخمسين وعليهم
ابنه الشيخ سالم الصباح وقد طال الحصار واستمر القتال بينهم يوميًا بالمناوشات

* * *

صدّ عبد العزيز ضيق المجالِ
لاعتصام العجمان بالاوحالِ
ثم جفت مياهها بالتوالي
فأتاهم مفاجئاً في الرحالِ
فتولوا بعد اشتداد القتال
في حمى ابن الصباح نحو الشمالِ
حين لاذوا من دان بذمارِ

* * *

استمرت الحرب ثلاثة اشهر ولكن العجمان لم يتمكنوا من احتلال أحد القرى او الحصون مع ان بعضها كان بعيداً عن مركز الدفاع فغدا المحاصرون محصورين وقلت ذخيرتهم وزادهم وقد تحصلوا على مساعدة وذخيرة من البحرين وقد علم بها الأمير عبد الرحمن بن سويلم أمير القطيف فجهز سفناً من جهته وطارد سفن المهربين وصادرها فاسقط في أيديهم وكانت المواضع التي نزلوها ضيقة المجال لاتسع لميدان الحرب ولكنهم اضطروا اخيراً الى الخروج منها فسنحت الفرصة لعبد العزيز الذي انتهزها فهاجمهم في محط رحالهم ونصب المدفع على قمة جبل القارة واستطاع ان يخرجهم ويهزمهم شر هزيمة فولوا مدبرين ولكنه لم يستطع ان يتعقبهم فيستأصل شافتهم لأن ابله كانت قد ارسلت الى نجد لقلة المراعي في ذي الأحساء ابان القيظ وكانوا قد انتهبوا من الأحساء ونواحيها اشياء كثيرة فحملوها معهم وولوا لايلوون على شيء الى جهة الشمال ووجهتهم الكويت فأقاموا في جوارها .

شر البدو

مثل البدو وكل حين وآن
في جميع الامصار والبلدان
كسراب يلوح للظمآن
فتذكر ما جاء في القرآن[1]
ميلهم في الحروب كالميزان
لقوي الجنود والاعوان ثم لا يصبرون للانتظار

* * *

هم كما قلت سابقًا كالقرى
لا ينال المعروف فيهم محلاً
كثر النيل منك أو هو قلاً
ليس يرعون في المطامع إلاًّ
يتولى هذا وذا يتخلى
يأخذون الظروف كالماء شكلا وردة تتبع الرياح الذواري

(١) اشارة الى قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الآية

*
* * *

بيئة العيش أثّرت في الطباع
فهم في تقلبٍ وامتناع
دائمًا في تنقّل في البقاع
من حضيضٍ الى عليّ اليفاع
همهم في تتبّع الأطماع
أين حلّوا في سائر الاصقاع فهم دائمًا على الأكوار

* * *

صاح داعي الفلاح بالتوحيد
ومهيبًا الى حنان الخلود
بمساعي عبد العزيز السعود
فأعادوا نداه بالترديد
ونفوا عنهم رداء الجمود
بانقلاب في الفكر والتقليد وخشوع في مظلم الأسحار

* *
*

* * *

وغدوا في اتحادهم (اخوانا) كتآخٍ بين الصحابة كانا
تاركين الثارات والعدوانا مخلصين الايمان والاحسانا
مظهرين اجتهادهم اعلانا وزمان النهوض بالمجد آنا
وزهت بالسعود منه الذرى

* * *

غير أن الامام وهو الحكيم بطباع البدو الجفاة عليم
لم يرد وضع حالةٍ لاتدوم ربما تحدث العداة الخصوم
ردّ فعلٍ تضيع فيه الحلوم وشئون البداة لاتستقيم
قبل تقييدها بقيد الجدار

* * *

فدعاهم الى بناء الدور راغبًا في اقامة التحضير
واقتناء المحراث بعد البعير مستعينًا بالوعظ والتذكير
فاستجابوا برغبة وسرور وبنوها في ظرف وقت يسير
مئة أو تزيد في المقدار

ما انتهت حروب الدرعية الا والدعوة السلفية او الأصلاح الديني الذي قام به
الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد عم نجدا كلها ورسخ في نفوس أهليها ولكنه اختص بالحضر منهم خصوصا
في العارض وما والاه أما البادية فسرعان ما عادوا الى عاداتهم الجاهلية ولكن الأنقلاب الذي احدثه
عبد العزيز في بث الدعوة بينهم أمر لم يحصل له مثيل في تاريخ الأسلام فقد نبذوا عاداتهم الراسخة طائعين
وأقبلوا على العبادة وقراءة القرآن حتى كادت الأمية تضمحل من بينهم بعد أن كانوا كلهم اميين
ولكنه رأى بنظره الثاقب أن حالة البدو لا دوام لها وان من غريزتهم التقلب في الآراء
والأحوال ولا يمكن الأعتماد عليهم في أمر ما داموا متنقلين في الصحارى والقفار فأمرهم
بالتحضر والبناء بالبيوت والأشتغال بالزراعة لأن التجارب علمته ان لا يعتمد الا على الحضر وقد
جد في بث الدعوة ولم ينقض عقد من السنين الا وتلك الصحارى المقفرة والفيافي الموحشة
ملأى بالمدن والقرى الآهلة بعشرات الالوف من السكان حتى ناهزت المائتين عدًا
واهمها : الغطغط والداهنة ونفي وساجر لقبيلة عتيبة المشهورة .
والأرطاوية ومبايض وفريثان وقرية العليا وقرية السفلى لقبيلة مطير والرين
والهياثم لقحطان ومشيرفة للدواسر والصرار وعريعرة للعجمان ودخنة وقبة
لحرب وثاج للعوازم والشباك للمرة وعين دار للهواجر والأجفر لشمّر
ولو اردنا عدها لضاق بنا المقام ولن تمضي بضعة سنوات حتى يتحضر بالمعنى الكلمة

الخلاصة

بلغ السيل بالعداء الروابي
في نفوس الاتراك والاعراب
في اضطهادٍ هذا وذاك في اضطراب
هيّأتهم لثورة وانقلاب
(فجمال) أفنى خيار الشباب
وبذا شب جذوة الالتهاب مثل ملقي البنزين فوق النار

* * *

تربة خصبة وجوٌ مطير
أعوزتها للاجتماع البذور
ومديرٌ لدى الصعاب قدير
عند هذا كل البلاد تثور

* * *

يا تُرى من هو القدير الجدير؟
ولديه مال وجند كثير مستقل من جملة الاحرار؟

*
* * *

سوف تلقى الجواب من كل فرد :-
- هو عبد العزيز سلطان نجد !
قلبه مشربٌ عليهم بحقدِ
حقدِ ارثٍ أبقاه جدٌ لجدّ،
فتصفّح تاريخ أقدم عهدِ
لا ترى غير مدفعٍ أو فرند ! وحروب في سائر الأدوار

* * *

فاتته (انكلترا) بالوفودِ
بوعودٍ خلّابةٍ وعهود
معها صولجان ملكٍ عتيد
تحت تاجِ الخلافة المنشود
فأبى، ناصحًا - برأيٍ سديد -
بالشريفِ الحسين بيت القصيد وسليل الخلائف الأطهارِ

* *
*

* * *

كان هذا لسان حال الأمام
-(آخذ الحق من بني أعمامي
وانا معهم على الاقوام)-
كيف يأتي خرقاً على الاسلام،
في سبيل الأحقاد والانتقام؟
وهو للدين من قديم حامي ثم خصّ الحياد بالأيثار

* * *

قضي الامر واشتفى الثائرونا
خدع الانكليز فيه (الحسينا)
بوعود بخط (مكماهونا)
حين أعطوه غيرها يملكونا:
(ملك العرب!!) (أمر المؤمنينا!!)
من جبال الطوروس مع طوروسينا للمحيط الهندي والأنهار[1]

(١) نهرا دجلة والفرات والمراد بذلك العراق

من المعلوم ان الترك لم يقاوموا احداً من امراء العرب مقاومتهم لآل سعود منذ ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود إلى عهد استيلاء عبد العزيز على الأحساء والقطيف حاربوهم مادّيا بعربيوديني ومحمد علي باشا وخورشيد باشا وبواسطة متصرفيهم في الأحساء وفي البكيرية والشيحية وخلقوا لهم المشاكل وألّبوا عليهم امراء العرب من آل رشيد وغيرهم وأربيا بنشر الدعوة ضدهم بواسطة دحلان وغيره من علماء الدين فنشروا عنهم الأكاذيب والفتاوى الباطلة ونسبوا اليهم ما شاؤوا من التهم في الدين حتى شوهوا سمعتهم في العالم الاسلامي ولما دخلت تركيا في الحرب العظمى وفتك جمال باشا برؤساء العرب في سوريا كانت فعلته خير سلاح نالته الحلفاء وشهروه في وجه الترك لاثارة العرب عليهم وكانت الأفكار مهيأة للثورة والنفوس متحفزة للوثوب ولا يعوزها الا رئيس قدير يرفع راية الثورة فتنضوي تلك الجماهير الخانقة تحتها وأول من يتبادر اليه الذهن من اولئك الأمراء هو الامام عبد العزيز وفعلا فاوضه السر بيرسي كوكس في الأمر وعرض عليه أمر الخلافة فامتنع خوفاً ان يسبب وهنا في الاسلام وكانت تركيا في ذلك اليوم تمثله ولم ينضم معها خوفاً من خصومها الاقوياء وهم يحيطون به من كل جانب وهو يرى تركيا عاجزة عن حفظ ممتلكاتها فأحرجها ان تعجز عن حمايته وامثاله من الموالين لها ولما اكثر عليه السر بيرسي كوكس الملحاح أشار عليهم بالشريف حسين فهو أولى بالخلافة لانتسابه الى البيت الهاشمي فوقف على الحياد ضاربا بالأحقاد القديمة والمطامع عرض الحائط الى ان قضى الله أمره.

*
* *

فغدا في حجازه مستقلّا
ماضيًا في الامور ربطًا وحلّا
قابضا في الشئون جزءًا وكلّا
تطّبيه أحلامه حيث ظلّا
يحسب ابن السعود في نجد كلًّا

هو في نجد عاملٌ ليس إلّا خامس في مراتب الاقدار

وقعة تربه

١٣٣٧

(تربةُ) من مساكن الاشراف
أهلها في الثلاثة الآلاف
دينهم دين صالح الاسلاف
فهمُ وابن عمهم في خلاف
ومع ابن السعود أهل تصافي
تبع نجد في الموقع الجغرافي والحسين ادّعى بها للجوار

بعد أن يئس الانكليز من عبد العزيز وجهوا جهودهم الى الحسين بن علي شريف مكة وتمت المفاوضات بينهم وبينه ووقع السر مكماهون المعاهدة التي يدعوها الحسين بمقررات النهضة وبموجبها يكون الحسين ملكا للعرب في سوريا والعراق وجزيرة العرب ما عدا عدن والبصرة وفي الواقع ان الانكليز استثنوا ما يأيديهم واعطوه ما لا يملكونه في ذلك الوقت عندها علن الحسين الثورة العربية وهب لمحاربة الترك فأخرجهم من مكة وحاصرهم في المدينة وجند الأمير فيصل الجيوش لمحاربتهم في سوريا واعلنت الملكية العربية وكان الحسين يعد الجزيرة ومن جملتها نجد جزءًا لا يتجزأ من مملكته ولا يرى في عبد العزيز الا أميرًا يجب ان يخضع للحلة الهاشمية واذا تحدث عنه قال انه أمير من الدرجة الخامسة لما يجده لأهل نجد من الكره الموروث

تربه

تربة والخرمة بلدتان بين الحجاز ونجد وهما شرقي جبل حضن وهو الحد الفاصل بين الحجاز ونجد في الموقع الجغرافي وعلى هذا فهما من البلاد النجدية وتسكنها قبيلة البقوم من عتيبة وبعض من سبيع والرئاسة فيها للأشراف أبناء عم الحسين والأمير هو الشريف خالد بن منصور بن لؤي وقد اعتنق اهل تلك البلاد مذهب السلف من عهد آل سعود الأولين ولم يزالوا من الموالين لهم الخاضعين لأمرهم ولكن الحسين يأبى الآن ضمهم الى الحجاز مما كلفه الأمر وقد جهز عليهم عدة حملات بقيادة الشريف شاكر وكان نصيبه الفشل وقد شغله حصار المدينة عن تجهيز حملة كبيرة ولم يكن مع خالد على ما يرام برغم اشتراكه في حصار المدينة وقد حصلت له عدة اهانات أخطرها آخرها تلك الطعنة الأمير عبد الله المعدودة من اللطمات التاريخية المشهورة فاعتزل خالد ورجع الى بلدته مغاضبًا

*
* *

حين ذلت (فروقُ) (والبسفور)
ضاق ذرعًا (فخريٌّ) المحصور
سلم الامر حيث فاز الأمير
فأتى منه للأمام البشير،
أبشيرٌ رسوله أم نذير ؟
"قد ظفرنا وجيشنا المنصور زاحفٌ في تعقب الاشرار!"

* * *

واصل الزحف جيشه للأمام
في الوف من سائر الاقوام
مع الفين من جنود النظام
وقد احتل (تربة) بسلام
ثم أوصى (الخالد) بكلام
داعيًا قومه للاستسلام مذرًا أهل (خرمةٍ) بالدمار!

* *
*

لم يصبر قائد تركي على الحصار في بلاد العرب صبر فخري باشا قائد حامية المدينة المنورة
فقد ظلت جيوش الأمير عبد الله بن الحسين تحاصره ثلاث سنوات الى ان سلمت الأستانة
ودخلتها جيوش الحلفاء بعد الهدنة فسلم بعد ان يئس من كل شيء مضطرًا وذلك في
١١ شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ وقد استولى الأمير على سلحة الحامية وذخائرها وكتب الى الأمام
عبد العزيز يخبره بخبر الفتح وما أفاء الله عليه من الغنيمة وان جيشه المنصور لم يبق أمامه
ما يصده عن تعقب الاشرار والخوارج (يشير الى اهالي تربة وخرمة اذا لم يكن يقصد عبد العزيز
نفسه كما يتبين من رسالته الى خالد بن لؤي) وانه ينوي الرجوع الى مكة للمثول أمام والده
صاحب الجلالة الهاشمية ولكنه بدل ان يتوجه الى مكة اجتمع بوالده على عشيرة وواصل الزحف
منها الى جهة تربة وهو يخفي قصده الحقيقي عن عبد العزيز وبرغم تظاهره فقد علم عبد العزيز بما ينطوي
عليه فارسل سرية بقي الف ومائتين من الاخوان يقودهم سلطان بن بجاد بن حميد للدفاع عن اهل
تربة الى ان يأتيهم عبد العزيز بمن معه فنزلت السرية على الشريف خالد بن لؤي في خرمة وكان جيش الأمير
عبد الله مؤلفا من خمسة آلاف من البدو والفين من الجنود النظامية ومعه من الآلات والمدافع والاستعدادات
الحربية الشيء الكثير واكثره مما غنمه من فخري باشا وفي يوم ٤ شعبان سنة ١٣٣٧ هاجم تربة وكان قد
أرسل ناسًا من القوم دخلوا البلد بحجة الدفاع عنها مع قومهم وطاوعوها ثاروا ودعوا للأمير
فتسنى له دخولها بسلام فاستباحها وقتل من فيها من اهل نجد وبعض المغضوب عليهم من اهلها

*
* *

«سوف نقضي الصيام من رمضانِ
ثم نُفني شر اذم الاخوانِ
ونضحّي في (الكوت) باطمئنانِ»
ثم نام الأمير بين الاماني،

* * *

(خالد) في الجيوش مع (سلطانِ)
نزلوا ماءً اسمه (القرنان) فأتتهم رسالة الأنذار

* * *

أجمعوا أمرهم اوان الأصيل
بهجوم فيه شفاء الغليل
وتنادوا كالرعد بالتهليل
حيث لاقوا كثيرهم بالقليل
ومجاري الدماء مثل السيول
يا لها ليلة لعزرائيل ذاق فيها الأمير طعم الصَّغار

وكتب الى رؤساء تلك النواحي يهددهم ان لم يأتوا طائعين وكان لديه رسول لعبد العزيز فأطلقه وقال له أخبر صاحبك بما رأيت وكان خالد بن لؤي وسلطان لما بلغهما خبر قدوم الأمير توجها للدفاع عن اهل تربة وقد نزلا ماء يبعد عنها أربع ساعات يدعى القرنين وقال الأمير للرسول أخبر خالدا ومن معه من الخوارج أننا سنكفيهم مؤنة القدوم الينا ولا يظن أننا نقصد الحرمة فقط لصوم رمضان في الحرمة ونعيد الأضحى في كوت الاحساء بعد ان نذيقهم ما يستحقونه من الجزاء وافاهم الرسول بعد صلاة العصر فشجبه واخبرهم بما فعله الأمير في تربة وبما قاله له فتشاوروا في الأمر وقرروا هجومهم على معاجمته تلك الليلة فمشوا اصيل يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ ووجهتهم تربة وما انتصف الليل الا والاخوان قد وصلوا نواحي البلدة وكانوا قد علموا بترتيب جيش الأمير من الرسول فانقسموا ثلاث فرق فرقة انحيازية ذهبت من وراء مخيم الأمير تقطع عليه خط الرجعة وفرقة سلطان ووجهتها الجنود النظامية المخذقة وفرقة خالد يمت مخيم الأمير وقد نام فيه بحلم بالأماني الجميلة والملك الواسع وما راعه الا اصوات التكبير والتهليل تتصاعد من افواه الأخوان الهاجمين وكانت ساعة عمائة خيم فيها الموت وتطايرت الرؤوس عن الجسوم وفتك كل فرقة بمن يليها فقد هاجمت فرقة سلطان بن بجاد العساكر النظامية واعملت فيهم السلاح ولم ينج منهم أحد وتقدم خالد الى مخيم الأمير فتفتك بالسرايا التي دونه وفر الأمير هاربا بمن معه من الحامية فما راعه الا والخيل قد باغتته وفتك بمن معه ولم ينج الا هو بنفسه ومعه اثنا عشر رجلا وتحصن من بقي من ذلك الجيش في قصر فهاجمهم الأخوان في النهار وقتلوهم وقد قتل في تلك الوقعة خمسة آلاف نفس وهتفت على آمال الحسين

* * *

تمّ ذا والامام بالجيش آتي
فاتى للمكان بعد الفوات
حيث هالته كثرة الاموات
فبكاهم بذارف العبرات
واكتفى عن عقاب تلك العتاة
وهو لو شاء أخذهم فى غداة
لاقتفاهم بجيشه الجرار

* * *

لم يكتف عبد العزيز بالسرية التى أرسلها مع سلطان بن بجاد فقد حشد جندًا كثيرا مؤلفًا من اثنى عشر ألف مقاتل وتوجه بنفسه للدفاع عن أهالى تربة والخرمة بعد أن تأكد من سوء نية الأمير عبد الله وقد واعاه النجاب فى الطريق بعد الوقعة بخمسة أيام فأخبره بتفاصيلها فواصل السير الى أن اتى تربة وشاهد تلك المجزرة البشرية الهائلة ولم يتمالك أن بكى على اولئك القتلى البائسين وأمر بدفنهم واجتمع لديه من الأثاث والآلات والاسلحة النارية الشيء الكثير وهي مجموعة قوات الطرفين المتحاربين فى حصار المدينة: اسلحة الجيش الهاشمي واسلحة جنود فخري باشا فاستولى عبد العزيز على الجميع وما كاد يستقر فى تربة حتى تنادى الأخوان الى الطائف الى الطائف وكانت فرصة سانحة اذ لو تقدموا الى الحجاز لما وجدوا أمامهم أقل مقاومة لان الجيوش الهاشمية انحلت ويتعذر جمع غيرها في مثل تلك الظروف. ومع ان الحسين كان هو البادئ بالعدوان فان عبد العزيز لمتصف بالأناة والروية والحلم رأى بثاقب نظره أن الساعة لم تحن بعد واكتفى بما ناله الحسين من الخيبة والفشل وأمر الأخوان بالرجوع الى نجد اما الحسين فلم يزدد الا عدوانا ومقاومة فاوصد البيت الحرام فى وجوه اهالي نجد ومنعهم من الحج واخذت جريدة القبلة تنشر المقالات التى يحبرها الحسين بقلمه فى الطعن باهل نجد وابن سعود مما كان له الأثر الأسوأ فى نفوسهم وصارت من اكبر الأسباب الدافعة لعبد العزيز على فتح الحجاز كما سيأتى

فتح حائل

١٣٤٠

عُدْنا للحسين — بين الوعيدِ
وصياح السباب والتهديد
بعد فوت المنى وسحق الجنود —
قد رمى نجد بالعدو اللدود
(بسعود العبد العزيز الرشيد)

بعتادٍ - ديسوقه - ونقود: "خذ وجندمن شمّر الاحرار"

* * *

أصبحت حينذاك حال الشريف
تشبه ابن الصباح بعد الصريف
فحذا حذوه برأي حصيف
ضاربًا ضده بسيف الحليفِ
بيد أن الظروف غير الظروف

حبّ هذا قبل انشقاق الصفوف هو ذا الدين قد فشا في (قفار) (١)

لم يكن الحسين يحسب حسابا لأهالي نجد وابن سعود فقد كان يعده في امراء العرب من الدرجة الخامسة ولم يزن قواته في انحزاماتها الشريف شاكر العديمة فقد كان يعول على جيوشه التي كانت مشغولة بحصار المدينة ولكن وقعة تربة القت عليه درسًا وعلمته ان لا يعتمد على جنوده المرتزقة وقواده الغير محنكين وعلم ان اهالي نجد لا يقاتلون لا بمثلهم فالتفت الى خصم عبد العزيز الدود، الى سعود بن عبد العزيز بن متعب الرشيد ولسان حاله يقول: "لا يفل الحديد الا الحديد" وكأنه أراد ان يتشبه بمبارك الصباح في سياسته التي قضى بها على خصمه استنجد الحسين بابن الرشيد على محاربة عدو الاثنين وفتح الخزائن وأمده بالاسلحة والعتادات الحربية وكان سعود اذ ذاك مرتبطا مع عبد العزيز بصلح على أثر المناوشات الاخيرة فلكث ولا قيمة للصلح في نظره متى سنحت الفرصة للانتقام ولم يكن الحسين موفقا في سعيه توفيق مبارك فان الظروف قد تبدلت وشمر قد انقسمت على نفسها ودين كثير منها وأصبح هم الاخوان مرعبًا خصوصًا بعد وقعة تربة وليس في سعود الرشيد من المؤهلات ما يمكنه من مقاومة ابن سعود والقضاء عليه فكانت تجربة غير ناجحة أيضا ان لم تكن نتائجها عادت بالعكس على الحسين فقد كانت من اهم الدواعي التي حدت بعبد العزيز الى فتح حائل وتكوين وحدة نجدية اقضت مضجعه وقضت على عرشه.

(١) قفار هم قرية من قرى حائل والمراد بذلك هنا هي شمر.

*
* *

نكث الصلح والعهود سعودُ
فنهاه الناهون عما يريد
فتراه بالاعتذار يعودُ
كل يوم نقض فصلح جديد
حاكمٌ طائشٌ وشعبٌ عنيد
مستشاروه نسوة وعبيد أين هذا من ذاك في الاختيار

* * *

ثم ألهته فتنة (الشعلان)
ثم اودى بغدر كف الجاني
فتولى ابن متعب في نزهات
هيمت فيه (فاطم السبهان)
معها في شئونهم عبدات
فوق عرش بالدم أحمر قاني وهو بين الانياب والاظفار

* *
*

حقاً ان الحسين لم يحسن الاختيار كزميله الشيخ مبارك ولا وضع آماله في ابن رشيد في محلها فقد كان الأمر والنهي بيد احدى نساء القصر تدبره من وراء الستار وهناك جيش من العبيد هم السلطة التامة والكلمة النافذة على صاحب الأمر ولصغر سنه تعوزه اشياء كثيرة من شروط الأمانة والتدبير فما سمع نداء الحسين حتى لباه ونقض الصلح وقلب ظهر المجن دون أن يحسب لعشيرته وقومه ادنى حساب وكان أكثرهم على ولاء وابن سعود فلم يرضوا بنقض الصلح وانكروا على سعود فعلته التي لم يجد طها مبرراً فاضطر الى ان يعتذر ويجدد عهد الصلح ثانية فقبل ابن سعود عذره ولكنه يعلم قيمة الصلح فاحب ان ينتظر النتيجة وان جنحوا للسلم فاجنح لها وظل سعود يلتمس الاعذار عند الحسين ويسوقه على ان الظروف خلقت له عذراً حسناً فقد اختلف النوري بن شعلان مع اهل الجوف فاستنجدوا بابن الرشيد عليه فاراد النوري وحاربه واستولى على الجوف وضمها الى حائل وكان عبد العزيز قد لزم جانب الحياد احتراماً للصلح الجديد برغم استنجاد النوري به على ان ابن الرشيد لم يتمتع بلذة هذا الفوز الجديد فما هو ان عاد الى حائل حتى قتله ابن عمه عبد الله بن طلال بن نايف بن طلال بطلق ناريه غدراً وكانا قد خرجا للنزهة وجلسا يرميان هدفاً وعمد العبيد الى قاتل مولاهم فقتلوه وتولى بعده ابن اخيه عبد الله بن متعب بن عبد العزيز الرشيد

* * *

جاء للصلح منهم الارسال
وهو صلح أساسه الاحتيال
فدعاهم وقد عراه الملال
من امور مصيرهن اختلال
بمقال تمت به الاقوال:
لكم وسط حائل استقلال واتركوا الاتصال بالاغيار

* * *

رفضوا ما اراد والرفض قاضي
بالعدا بين حائل والرياض
نفد الصبر بعد طول التغاضي
فشفاء لنا لكم الامراض
موت أولى الخصمين بالانقراض
وانتهى الامر باستلال المواضي أعلنوا الحرب ثم بالاشهار

* * *

بعد أن تربع عبدالله بن متعب على مسند الحكم أرسل رسلاً من قبله الى عبدالعزيز يخبره بولايته ويطلب تجديد الصلح بينهما ولكن عبدالعزيز يعلم انه صلح مؤقت تقصد منه اطالة الوقت الى ان يتم توطيد الأمور فان اليد التي كانت تدفع سعودا لاتزال قابضة على ناصية الحال وقد اصبحت عهود الصلح لاقيمة لها عند آل الرشيد فلم يعقد صلح الا لينقض وما خط القلم شيئاً الا ومحاه السيف في اليوم الثاني ولم تكن دسائس الشريف حسين ومعاهدته لسعود على محاربة عبدالعزيز ببعيدة العهد ولا يبعد ان يعود الحسين الى مفاوضة عبدالله المتعب لأنه بعد وقعة تربة لم يعد يهدأ له بال لهذه الاسباب العديدة أجاب عبدالعزيز طلبهم الى الصلح ولكنه اشترط ان يكون لهم استقلالهم في ادارة شئون حائل وشمر وان لاتكون لهم صلات خارجية مع أي كان وان يرجعوا في شئونهم الخارجية الى عبدالعزيز نفسه واكثر شمر لم يرتابوا في اجابة تلك الشروط لأن في قبولها القضاء على تلك الفتن والحروب التي طال أمدها ولكن القابضين على شئون القصر رأوا في ذلك اهانة لعزتهم ولم تسمح نفوسهم ان يذعنوا وأصروا على بقاء حكمهم كما كان سابقا ولم يجد عبدالعزيز بدًّا من حسم الخلاف بالسيف لتوحيد مملكة نجد والقضاء على حالة الفوضى القديمة فكان الرفض وتداعى الفريقان الى السلاح

* *
*

زحفت للقتال منه الجنودُ
وعليها (محمّدٌ) و (سعودُ)
لا يفل الحديد الا الحديد
فأتى الضد يومه الموعود
وبه كادت الجبال تميدُ
حاصروه ان الحصار شديد ذل من يحتمي بعقر الدار

* * *

هي حال لحائل أي حالِ
في حصارٍ مشدّدٍ وقتالِ
ورجال تخرّ فوق رجالِ
كل ذا وابن متعب في ضلال
ثم خارت قواه خوف الزوال
مذ أتاه «محمّد بن طلال» حيث أمسى ما بين نارٍ ونار

* *
*

استنفر عبد العزيز أهالي نجد ومشى الى القصيم بعشرة آلاف مقاتل فأقام هناك وأمر على قسم من الجيش الزاحف أخاه محمد ابن عبد الرحمن وأمره ان يهاجم حائل ويطوقها بالحصار وولى ابنه سعوداً ولي العهد على القسم الآخر وأمره ان يزحف الى شمر فيناوشهم القتال فزحفت الجيوش وأحاطت بحائل وهناك أرسل ابن متعب وفداً يطلب الصلح على اساس الشروط المرفوضة ولكن بعد فوات الوقت وليس أمامه الا الحرب او التسليم وقد وحدت القيادة تحت امرة سعود وعاد محمد الى أخيه واشتد الحصار بحائل وانقطعت عنها السبل ولاح بها شبح المجاعة المخيف هذا وابن متعب قد عول على الدفاع حتى النفس الأخير ولكن حدث له أمر لم يكن بالحسبان فان ابن عمه محمد بن طلال أخا عبد الله الذي قتل سعودا قدم الى حائل من الجوف بحجة الدفاع عن قومه ووطنه فاوجس ابن متعب منه خيفة لأن ابن طلال لا يتردد في تمثيل دور أخيه توصلاً الى الحكم ولو في ذلك الوقت العصيب فوقع بين نارين نار في الخارج تحيط به ونار كامنة في جوفه لا يعلم متى يميد طيبها فتلتهمه فالمسألة الآن مسألة حياة أو موت ولا يدري ايدافع خصمه عن بلاده ام يدافع ابن عمه الأدنى عن حياته ففضل الالتجاء الى الخصم لأن وجود السلامة عنده اليسر وسرعان ما سلم نفسه الى سعود بن عبد العزيز وذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٩ فعاد سعود به الى الرياض .

*
* *

فرّ - خوف القريب - نحو البعيد
حين وافى مستلمًا لسعود
فتولّى ابن عمه من جديد
بدفاع المستبسل الصنديد
فأحاطوه بالحصار الشديد

فتكة الجوع فوق فتك الجنود ... أنزلته من شاهق الاوكار
* * *
قم نراجع فهارس الأخبار ... لاهالي الفتوح والانتصار
من قديم القرون والأعصار ... في حروب دينية أو فجار
ترَ أقصى تعطّف الاخيار ... منهم: العفو عن أهالي الدار
بعد ادراك غاية الاوطار

ثم قسمهم بابن السعود الكريم ... حين ذلّت عداه بالتسليم
بعد ما ذاق عسفهم من قديم ... اذ تلقّاهمُ بقلبٍ سليم
وحباهم بكل نيل عميم ... من جميع الملبوس والمطعوم
وهم بين جائع أو عارٍ

— تولى محمد بن طلال الأمارة وكان شجاعا باسلا الى حد التهور وفيه اشياء من خصال عبد العزيز المتعب فقام بالدفاع وقد نفس نوعا الرحيل سعود عنه بابن متعب وخوفا على الرحلة ان تموت لشدة القيظ فهاجم بعض القرى التي مالت ابن سعود وكل باهلها واكثر من العسف والفتك وخرج بجنوده الى الجثامية على مقربة من حائل معسكرا وكان عبد العزيز قد أمر فيصل الدويش أن يتوجه لمحاربة ابن طلال الى ان يوافيه بمن معه من الجموع فالتقوا على الجثامية وانسحب ابن طلال بعد قتال شديد الى حائل وفي غرة المحرم سنة ١٣٤٠ وصل عبد العزيز ومن معه الى حائل وباشر القتال بنفسه وشدد الحصار عليها وقد طوقها من كل الجهات وكتب الى أهل حائل ينذرهم ويأمرهم بالتسليم ولكن ابن طلال قابض على ناصية الحال بيد من حديد برغم كرههم له لشدة عسفه ولما احس بنفورهم منه أرسل الى السر برسي كوكس المندوب السامي في العراق يرجوه ان يتوسط في الصلح بينه وبين عبد العزيز ولكن الأخير رفض كل مفاوضة بهذا الخصوص حتى اشتد الأمر على أهل حائل وكادوا يهلكون جوعا فأرسلوا لعبد العزيز بالتسليم وقد دخلتها الجيوش الظافرة وبقي ابن طلال محاصرا في القصر حتى أمنه عبد العزيز فنزل . دخل عبد العزيز حائل في يوم السبت صفر سنة ١٣٤٠ دخول الفاتح الظافر وكان عليه أن يعيل بحائل واهلها مثلما عملوه في الرياض منذ ثلاثين سنة حينما قطعوا النخيل ونكلوا بالناس اشد تنكيل والجزاء من جنس العمل ولكن عبد العزيز لم يكتف بالعفو أيضا فقد دخلها وأباح لأهلها كل ما لديه من طعام ولباس وفرق عليهم وكان شيئا عظيما ادخره للحصار منذ اقدم الأزمنة حتى انه استشار أهل حائل فيمن يوليه عليهم أميرا فطلبوا احد ابناء السعود ولكنه رفض قائلا لا آمن أن اولي احدا منا عليكم لأن الجروح القديمة لم تندمل بعد وقد ولّى عليهم ابراهيم بن سبهان احد افراد العائلة الرشيدية

آل الرشيد

١٢٤٦ — ١٣٤٠

صفحات مكتوبة من نار
كتبت وسط حائل بشفار
بسطور من الدّماء الجواري
احمرارا مسطرًا باحمرار
فهي في بطن دفتر الاخبار
كل ما للرشيد من آثار لاعتبار في كنهها وازدجار

* * *

(متعبٌ) قد سقاه كأسًا (حمود)
وتلاه (سلطان) ثم (سعود)
(فسعود العبد العزيز) الشريد
أخذت ثاره هناك العبيد
ذا قتيل وذا بذاك مَقود
والاخير ابن متعب الموجود في جوار المليك خير الجوار

كانت عائلة الرشيد امراء حائل اشبه شيء بالنار التي تأكل نفسها ولم يرو التاريخ تقاطعًا في الرحم
مثلما رواه عنهم بدأت امارتهم بعبد الله بن علي بن رشيد ولاه الامام فيصل على حائل ١٢٤٦ ومات حتف انفه ١٢٦٥
وخلفه ابنه طلال فقتل نفسه ١٢٨٢ وبعده اخوه متعب قتله بندر وبدر ابناء اخيه طلال ١٢٨٩ فقتلهما عمهما محمد بن عبد الله ١٢٨٨
وتولى بعدهما ودامت ولايته وحارب آل سعود حتى استحوذ على نجد كلها ومات حتف انفه ١٣١٥ وخلفه عبد العزيز ابن أخيه
متعب الذي قتل في روضة مهنا كما تقدم ١٣٢٤ وحكم ابنه متعب فقتل مع اخويه مشعل ومحمد سيف ابناء حمود العبيد ١٣٢٤
ولم ينج الا الاخوة الصغير سعود فر باخواله الى الحجاز فتولى سلطان الحمود العبيد فقتله اخوه سعود ١٣٢٥ وحكم ثم قتل ١٣٢٦
بمساعي آل سبهان الذين اعادوا ابن اختهم سعود بن عبد العزيز (شريد الحجاز) وكان من احواله ما تقدم
ذكره حتى قتله عبد الله بن طلال ١٣٣٨ وقتل معه وتولى عبد الله متعب الذي التجأ الى سعود بن عبد العزيز
خوفا من ابن عمه محمد بن طلال وهذا الاخير سلم نفسه لعبد العزيز بفتح حائل واعيد ذلك السيف البتار الى غمده
بعد ان اعمل حديه بالقاطعين في الرعايا والأمراء على السواء وسطر في تاريخ الرشيد سطورًا من الدم
حمراء ليس لهم سواها من أثر يذكر بعد ان تأمروا وحكموا اربعًا وتسعين سنة ودانت لهم نجد
من اذناها الى اقصاها ان في ذلك لعبرة لأولي الالباب والأبصار . وبعدها انتقلت عائلة الرشيد الى الرياض
وقد تولاها عبد العزيز بالرعاية والاكرام وبقي يعامل افرادها معاملة افراد آل سعود اذا لم تكن اكثر فاصبحوا في
عيشة لم يرو امثلها أيام حكمهم وسيطرتهم المملوءة بالحروب والمغازي وقتل بعضهم بعضا .
وقد يسعد الانسان بالعيش راغمًا وتلقاه في حال الشقاوة راضيا

أبرها وآل عائض

ان أبهما مدينةٌ في عسيرِ ... (دبّت) في حمى سعود الكبير
وتؤدي الزكاة للمأمور ... جعلوا (عائضًا) لها كأمير
وتولّى بنوه ملك الامور ... بالتوالي حتى الأمير الاخير
«حسن» حيث عاث بالاضرار

* * *

فشكاه الى الامام الأهالي ... فنهاه بألين الاقوال
فعصى جامعًا جموع القتال ... مستعزًا بشامخات الجبال
ووعود الحسين بالأموال ... ثم لما دهاه جيش النكال
لاذ من (حجلة) بذيل الفرار

* * *

وأتى للأمير بالتسليم ... فحباه الامام بالتكريم
ودعاه للحكم شأنَ الحكيم ... فأبى قانعًا بجود الكريم
أطلقوه بالعز والتعظيم ... فمضى هازئًا بحلم الحليم
ثائرًا عائدًا الى الانكار

عسير بين الحجاز واليمن في أعالي تهامة أراضيها جبلية شماء وعرة المسالك خصبة التربة وقاعدتها أبها في اعلى جبل السراة بين واديي ضباع وشهران كانت تلك الولاية تابعة لآل سعود وتذهب هلها مذهب السلف وقد ولى سعود الكبير عليها عائض اليزيدأميرًا من قبله سنة ١٢٢٨ ثم استقل بالحكم بعد وقائع الدرعية وتولى بعده ابنه محمد الذي وطد أركان حكم آل عائض ومد على البلاد المجاورة له ان قتله غدرًا أحد ولاة الترك وبقي الحكم في آل عائض تحت حماية الأتراك الى أن وقعت الحرب الكبرى فاستقل بالأمر حسن بن علي بن محمد بن عائض بعد ان جلا الترك عنها وكان مستبدًا ظالمًا فشكاه أهالي عسير الى الامام عبد العزيز الذي يعتبرونه امامهم الشرعي فبعث اليه بوفد ينصحه ويأمره باتباع الرفق واللين فما كان منه الا ان رد الوفد ردًا سيئًا فارسل اليه عبد العزيز ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بألفين من الجيش وأمره ان يدعوه سلميًا الى حسن وأن يعود الى ما كان عليه آباؤه الأولون ولكن حسنا قابله بالجموع مستعدًا للحرب فكانت وقعة (حجلة) فانهزم حسن بن عائض ومعه ابن عمه محمد واستولى عبد العزيز بن مساعد على أبها وكافة جبال عسير وعاد الأمير ان اليه مستصحبين فاستصحبهما معه الى الرياض وعاهد عبد العزيز على السمع والطاعة وأكرمهما غاية الاكرام وعرض على حسن امارة عسير فامتنع بحجة الضغائن التي بينه وبين قومه فاجرى له الرواتب وأعاده الى بلاده مكرمًا وكانت حرملة بلدته الأصلية فذهب اليها وعصى وجهز قوة حل بها على أبها فاستولى عليها وقبض على أميرها وكان الشريف حسين قد مد حبائله في عسير وارسل الى قبائل شهران وغيرها يستحثها للانضمام الى حسن ويستنهضها ويمدها بالذخائر والأموال فتفاقم الأمر واعلن حسن العصيان ضاربًا بعهوده عرض الحائط

* * *

لم يعره الأمام أيّ التفات
بينما حرب حائل لا تؤاتي
فأتت نحوه فلول العصاة
ثم وافاه فيصلٌ بالكماة
فاستمر واحتى جبال السراة
وجنود الشريف بعد الفوات عاجلوها كأختها بالدمار

* * *

عِظَةٌ آل عائض والرشيدِ
فهم من ولاة آل السعود
ظفروا كلهم بملكٍ عتيدٍ[1]
في زمان (المحمدين) المجيد
ثم جازوهم جزاء الحقود
وبوقت (المحمدين) الجديد رجعت نحو أهلهنّ العواري

* * *

قام حسن ومحمد آل عائض بثورتها وكان عبد العزيز مشغولا بفتح حائل فترك الامور في عسير على علاتها
الى ان فرغ من شئون حائل فأرسل ابنه الأمير فيصل بجيش يناهز العشرة آلاف وزحف الى عسير
في شوال سنة ١٣٤٠ وقد توغل في البلاد بلا مقاومة تذكر وآل عائض يتقهقرون أمامه فرارا
حتى أخلوا أبها والتجئوا الى معقلهم حرملة وهي بلدة منيعة في رأس جبل طالما لجأ اليها
آل عائض في أيام الأتراك فكانت لهم حصنا ومعولا فحاصرتهم السرايا وبعد عدة وقعات استولى
فيصل على حرملة بعد أن فر آل عائض منها . وكان محمد قد ذهب الى الحجاز يستنجد بالشريف حسين
فأمده بقوة من الجند يقودها حمزة الغزاوي فما كادت تصل الى أطراف عسير حتى فاجأها كمين من
الأخوان قضى عليها وشتتها شذر مذر وانتهى امر آل عائض وقد عاد الاميران محمد وحسن
الى عبد العزيز فعفا عنهما وبقيا في الرياض مكرمين .

آل عائض و آل رشيد

من غرائب الاتفاق ان آل عائض كانوا امراء آل سعود في الجنوب وكان آل رشيد
امراء لهم في الشمال وكلتا الامارتين خرجتا على آل سعود فقوي آل عائض في زمن
محمد بن عائض وآل رشيد في زمن محمد بن عبد الله واستعاد عبد العزيز الامارتين في سنة
واحدة من محمد آل عائض ومحمد بن طلال الرشيد والعاقبة للمتقين .

---

(١) العتيد الجسيم الضخم

فتح الحجاز

١٣٤٣

قد عادى الحسين في الاعراق
في التعدي والدس والاختلاق
ناقضاً بالعداء في الابواق
وصداه (الرقيم) بعد (العراق)
رب فاكف النجديَّ كم ذا يلاقي
فهو بعد الارعاد والأبراق صدهم عن مناسك وشعار

* * *

صدهم دون سائر المسلمينا
عن قضاء الفرض العظيم سنينا
ثم ابدى وسط الرقيم طنينا
منه نبكي آنًا ونضحك حينا
اذ تسمى بامرة المؤمنينا
هتفت أولياؤه آمينا حين ضج الاسلام باستنكار

منذ تعاهد الحسين مع الانكليز على الثورة ظل يحسب البلاد العربية تابعة له ومن جملتها نجد وابن سعود وتجاهل ان الانكليز اعطوه ما لا يملكون ومن جملة الوسائل التي اراد ان يثبت بها سلطته على نجد ارسل في ابان الثورة عدة صرر من الأموال المرصودة لمساعدة رجال الثورة الى عبد العزيز ولم يكتب معها كلمة ولما استفهم عبد العزيز منه أجابه (هل انت سكران وما عندك عقل) اي كأنك لم تفهم انك من اتباع الجلالة الهاشمية وهذه هي المرتبات! وفي الأخير كشف القناع وجهز الحملة التي تعبد الفطر في الحرمة والاضحى في الحماد فقضت عليها وقعة تربة وملاخا الى الدسائس فاستفز ابن رشيد واستنهض أعائض وأوعز الى ابنيه في العراق وشرق الاردن (الرقيم) ان يحضا القبائل الموالية لهما على غزو البلاد النجدية فأقلق راحة ابن سعود من كافة الجهات ولم يترك وسيلة الا لجأ اليها هذا وابن سعود يقابل أعماله بالسكوت والمجاملات الودية ولا تقابل منه الا بالرد الشنيع والازدراء فضلاً عن اضطهاده لكل من هو نجدي في بلاد الحجاز ومن اكبر الجرائم عنده ان يتحدث أحد عن نجد او يذكر اسم الأخوان الذي يمقته أشد المقت وطالما تظاهر بما تنطوي عليه نفسه في مقالاته التي يديجها الجريدة القبلة ولم يكتف حتى منع اهل نجد عن الحج وقضاء ذلك الركن الركين من الاسلام فصدهم عن سبيل الله وبيته كأنه ملك له يفتحه لمن يشاء ويصد عنه من يشاء وقد ضاق اهل نجد بما يجدونه كل هذا وعبد العزيز يسكنهم ويواعدهم بحسم الأمور بالوسائل السلمية قبل التجاء الى المشاق الحسام وفي سنة ١٣٤٢ ذهب جلالته الى فلسطين وشرق الاردن وهناك اوعز الى طغمته وانصاره ان يبايعوه بالخلافة العظمى ليجعلها حجة في اخضاع ابن سعود وغيره من امراء العرب ولكنه نجى على نفسه فاغضب العالم الاسلامي اجمع وعجل في القضاء على مملكته الهوجية وعلى نفسها بأقبح تخيي .

قد أعاد التاريخ سرد الفصول
اذ سهيل يبغي وحلم الرسول
حيث لاقى العدى بصبر جميل
فأطاع العزيز حكم الذليل
ان حدا الامام غير كليل
حين لاقى بالحلم عسف الجهول وربوع الكويت خير قواري[1]

* * *

بلغ الامر غاية الارتفاع
وانتهى الاجتماع بالانقطاع
ومن العدل كيل صاع بصاع

* * *

اذ تنادى الاخوان للاجتماع
فى ذرى الوالد الامام المطاع
قد دهانا ما ليس بالمستطاع كم نحابى فى ديننا وندارى

---

(١) القواري الشحوم

ما شبه مؤتمر الكويت بمؤتمر صلح الحديبية اذ نرى الضعيف فيهما على ارادته على القوي فيقبل وما شبه موقف مندوبيه بموقف سهيل بن عمرو فى تعنته ولجاجته وكذلك النتيجة فقد كانت واحدة هي فتح مكة وبين الفتحين ثلاثة عشر قرنًا وثلث . لم يرد عبدالعزيز ان يقدم على اشهار الحرب على الشريف الا بعد ان يعلن للملأ كافة موقف الحسين السلبي نحوه ففي سنة ١٣٤٢ قبل دعوة الحكومة الانكليزية لعقد مؤتمر فى الكويت برئاسة مندوبها فى الخليج الفارسي الكولونل نوكس لفض الخلاف بين حكومة نجد وحكومات الحجاز والعراق وشرقي الاردن ابو بين عبدالعزيز والحسين وأولاده ولكنه اشترط مبدئيا ان لا يتداخل وفد اية حكومة من الحكومات الثلاث فى المباحث مع غيرها وقبل ذلك الشرط وعليه انعقد المؤتمر فى الكويت ولم يرسل الحسين مندوبًا عنه واصر على الجلاء عن تربة والخرمة قبل المفاوضات وكاد الاتفاق يتم بين نجد والعراق لولا ان الوفد العراقي خالف الشرط المبدئي وعلق نفوذ معاهدته بالاتفاق بين نجد والحجاز اما وفد شرق الاردن فكان موقفه موقف غليوم فى قصر وسايل سنة ١٩٨٧ فلم يكيف بالمطالبة بالجوف وقريات الملح بل اشترط رجوع امارة آل الرشيد وآل عائض والتنازل عن تربة والخرمة برغم طلب الوفد النجدي استفتاء اهل تينك البلدتين وخاض الوفد فيما يعنيه وما لا يعنيه وكانت الغارات لا تزال تشن من قبائل العراق على القبائل النجدية فتأجل المؤتمر وعاد للانعقاد ثانية واذا الوفود أصلب مما كانت قبلًا ومن اراد الوقوف على مطالب نجد العادلة وتعنتات العراق وشرقي الاردن فليرجع الى الكتاب الأخضر النجدي . عندها عاد عبدالعزيز من الأحساء الى الرياض وانعقد برئاسة الامام عبدالرحمن مؤتمر من الاخوان والعلماء وتباحثوا فى الحالة الراهنة وموقف الشريف السلبي تجاه نجد

* * *

وتنادوا الى الحجاز سريعًا
يقصدون البيت الحرام جميعًا
ومن الطائف استحلوا الربوعا
دخلوه وكان حصنًا منيعًا
حين فلوا من الشريف الجموعا
وتمشوا الى المقام ركوعًا كل فرد بطرف وازار

* * *

حادثٌ قد جرى من الاخوان
يقتضي شرح كنهه للبيان
قتل بعض الذوات والاعيان
جرّه بعض جاهلي السكان
اذ رموهم من عالي الجدران
وهم في حمية وتفاني فجرى ما جرى بأمر الباري

* * *

ألح الأخوان في مجتمعهم بطلب الحج في ذلك العام فقد طال الانتظار وعجزت الوسائل السلمية عن حل الخلاف وارضاء مطالب الحسين ولم يبق الا الحج بالقوة لأنهم قادرون على ذلك وبعد الأخذ والرد وتبادل الآراء بين الجميع قر القرار على غزو الحجاز والحج بالقوة ليقضي الله أمرًا كان مفعولا فمشت جنود الأخوان وعددها نحو ثلاثة آلاف مقاتل وهي بقيادة الشريف خالد بن منصور بن لؤي وسلطان ابن بجاد تؤم الحجاز وفي غرة صفر سنة ١٣٤٣ وصلت طلائعها الى الحوية بقرب الطائف وهناك انتبهت حكومة الحسين لأمر لم تحسب له حسابا قبل ذلك الحين وكانت تظن نفسها قادرة على اخضاع كل أمير عربي لسيطرتها فهبت قواتها من الجنود النظامية للدفاع عن الطائف وما هي الا جولات حتى ولّت الأدبار ودخلت في هضبات الطائف للدفاع ولكنها لم تتمكن من ذلك وجاء الأمير علي بن الحسين بسرية فدخل الطائف وخرج منها يعسكر بالهدى وتبعه أمير الطائف الشريف شرف عدنان ومن معه من الضباط ودخلها الأخوان فجر يوم ٧ صفر ولم يخل جيش الأخوان من جموع البدو والذين انضموا الى الجيش الزاحف بغية النهب والسلب وقد دخلتها طلائع الجيوش قبل الأمراء فأخذوا في قتل من يقاومهم وتطاير الرصاص في الشوارع فقتل من أصابه وكانت حادثة الطائف المشؤمة التي قتل فيها السيد الزواوي وبعض الأعيان وكان الاخوان اذ ذاك لا يميزون بين رفيع ووضيع وقد دخلوا دخول الظافر المنتصر ولم تخل الطائف من سفهاء اخذوا يرمونهم من نوافذ البيوت فزادوا الطين بلّةً وجعلوهم يقابلون الفعل بمثله فدخلوا بعض البيوت وجرى ما جرى منهم والليل مخيم واختلط الحابل بالنابل وكانت ساعة هول حتى دخل الامراء البلد صباح السبت وأمنا الناس

* * *

دخلوها ليلاً بغير أمير ... وهي الحرب ربة التدمير

فرآها العداة للتغرير ... فرصةً تستفاد للتنفير

هذه حائل برغم النفور ... بينهم عُوملت بخير وفير

وتغاضوا عن كل حقدٍ وثارِ

* * *

وأتى جيش (خامس الدرجات) !!! ... زاحفًا نحو مكةٍ بثبات

وعلي أتاه من عرفاتٍ ... زاحفًا للهدى لصد الغزاة

سيوالي الدفاع حتى الممات ... فثنى العزم منه حب الحياة

زاهدًا في فخار (تاج الغار)

* * *

ومضى نحو جدةٍ باضطرابِ ... يبتغي رتق بالي الاثواب

ان تعجب فاعجب لامرٍ عجاب ... فالحجاز المحكوم بالارهاب

أمةٌ ذات سلطة وانتخاب ... قررت خلع صاحب الالقاب

وتولى ابنه بذاك القرار !!!

والحروب لاشك عمياء لابد لها من ضحايا خصوصًا متى دخل الهاجمون في الليل على ان دعاة البيت الهاشمي اتخذوا حادثة الطائف آلة للتشهير بعدوهم واخذوا يصفون فظائعها وأهوالها ولو كان امراء الجيش حاضرين لما وقع شيء من ذلك ولنا بحائل أعظم دليل فقد كانت أقرب الى ان ينالها التخريب والتعقيل طابين الخصين من اشارات والضغائن القديمة كما تقدم وبعد رجوع فلول المنهزمين الى مكة تشجع الحسين فجند لجنداً مؤلفًا من الف وثلاثمائة مقاتل من جنود نظاميين وبدو وبعض أهالي مكة فعسكروا في الهدى بقيادة الأمير علي وهناك وافاهم الاخوان وجرت معركة كبيرة انكسر فيها عسكر الأمير وبرغم توالي الهزائم والانكسارات أعاده والده بسرية أخرى وقد صمم على الفوز او الموت ولكنه في الأخير آثر الحياة وفر الى جدة خوفًا من ان يعيده والده وترك الطريق مفتوحًا للهاجمين وقد توقف الأخوان عن التقدم احترامًا للبيت الحرام ولانهم تبعوا الأمير علي في انهزامته لدخول جدة بسلام وقد نزح كثير من وجهاء مكة واعيانها بعد وقعة الهدى الى جدة وهناك اجتمعوا بالأمير علي وبعد الأخذ والرد اتفقوا على أن يتنازل الحسين عن عرشه وان يتولى علي تسنمه لمفاوضة مع ابن سعود للتفاهم وهكذا بين بكرة وعشيه اصبحت المملكة الحجازية المحكومة بالارهاب والاستبداد امة ذات كيان تطالب باهلها المستبد الجبار ان يتنازل عن عرشه ليتولاه ابنه فأتاه تلغراف من مجلس الأمة بجدة يخبره فيه بما تم ويطلب منه ان يتنازل وقد أجابه على ذلك وقبل ان يتنازل بشرط ان لا يتولى بعده أحد ابنائه ولم يقصد بذلك الا الايهام والتمويه لأن المسألة متفق عليها ليكون الملك الجديد خاليًا من المسؤوليات التي سيجابه بها ابن سعود على ان عبد العزيز لم تنطل عليه الحيلة فعلي هو الحسين

* * *

عندها ضاق بالحسين الفضاء ... وغطاه بالامر نارٌ وماء
هو ذلٌ تشوبه الكبرياء ... فبكى حين لا يفيد البكاءُ
اذ اتاه من الاهالي النداء: ... "ليس بعد السقوط الا النجاء
فتنازل عن عرشك المنهارِ"

* * *

سلم الأمر بالرضى مشمولا ... مستقيلاً تراه أم معزولا؟
قصة احكموا لها التمثيلا ... لينالوا الى الخلاص سبيلا
خلع هذا ونصب ذاك بديلا ... ليس يغني عن العداة فتيلا
لم يزل في الصغار سر الكبارِ

* * *

غادر المنقذ العظيم البلادا ... وامتطى مركبا به يتهادى
جاعلاً أصفر الجنيهات زادا ... فأراح البلاد ثم العبادا
وتلاه ابنه لجدة عادا ... واتى خالد الاميرُ فنادى
بأمان للبدو والحضّارِ

قبل الحسين ان يتنازل عن عرشه العظيم وتمت البيعة لابنه علي على ان يكون ملكا دستوريا على الحجاز فقط وان يكون للبلاد مجلس نيابي وقانون اساسي تضع جمعية تأسيسية وان تشكل هيئة موقتة لادارة اعمال الحكومة وبعد هذا بايعوه على كتاب الله وسنة رسوله ايضا ولكن الحسين في حالة ضيقة ارسل احتجاجا الى تلك الهيئة يحفظ فيه حقوقه لاستعادة الحكم الاستبدادي اذا استعيد الحجاز فقد قال في احتجاجه ان العمل بالحكومة الدستورية في الحرمين مخالف لاحكام كتاب الله وسنة رسوله كما انه احتج على تحديد نفوذ الحجاز وحصره في دائرة التي هي ضيقة في نظر جلالته لعدان كان يؤمل ملك البلاد العربية كلها . ولنا ظم من قصيدة نشرت ابان الحرب الحجازية عنوانها (جوقة تمثيل)

دولة في شعابها مستبدّة ... ما تعدى نطاقها سور جدة
ونصيد الدستور فيها مليكٌ ... فوقه تاج دولة مستبدّة
وطغاني نطاقها بر طمان ... ومتى شام فرصة صار سيّدة
ولها في محيطها وزراء ... من نفوس البلاد اكرّ عدة

وبعد مبايعة علي بالملك توجه توا الى مكة وفي اليوم التالي غادرها صاحب الجلالة الهاشمية وقد استصحب معه عدة صفائح مملوءة ذهبا الى جدة ومنها ودع ذلك الملك العظيم وتلاشت أمام عينيه تلك الأحلام كلما ابتعدت عنه شواطئ الحجاز وهو على يخته الرقمتين وعاد الملك علي الى جدة على اثر أبيه بعد أن تأكد ان الدفاع عن مكة عقيم الفائدة لذهاب الجند وتمزقه شذر مذر وفي ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ دخل خالد بن لؤي بالاخوان الى مكة وهم محرمون وبعد ان طافوا وسعوا استولوا على البلد الحرام ونادوا فيه بالأمان

* * *

دخل القائدان مكة لكن ... بقيا لم يحركا أي ساكن
بيد أن الارجاف ساد الاماكن ... وعلي يكاد يخلي المساكن
ومن الخوف قد أعدّ السفائن ... أهيب بين الزنادين كامن ؟
أم هدوء ينبيك بالإعصار؟

* * *

أرجف المرجفون بالأنباء ... فأصيب الشريف بالبرحاء
بين خوف ينتابه ورجاء ... وانتظار البلاء نفس البلاء
ثم بث الدعاة في الأرجاء ... مستغيثا بسائر الكبراء
يطلب الصلح خاضعا بصغار

* * *

حاول الجبر بعد كسر الزجاج ... لا يلين القضيب بعد اعوجاج
أو تلاقى الجيوش بالاحتجاج ... فهو موقدون نار الهياج
ثم جاء الامام بالمنهاج ... وهو يقضي عليه بالاخراج
وعلى المسلمين بالاختيار

مما لا ريب فيه ان حادثة الطائف أضرت بابن سعود اكثر فهي السبب الوحيد الذي جعل القيادة تتأخر عن احتلال جدة في الوقت المناسب فان عبد العزيز امرها أمرا بالتوقف الى ان يأتي مخافة ان تجري حادثة اخرى من نوعها فقد دخل خالد وسلطان مكة وبقيا لم يحركا ساكنا واتاها وفد باسم أهالي جدة للمفاوضة في الصلح فاشترط خروج علي من الحجاز ولكن الوفد عاد ولم يصنع شيئا واهالي جدة يتوقعون قدوم الأخوان صباحا مساء ولو تقدمت سرية واحدة الى جدة لاستلمتها بدون مقاومة تذكر وانتهى أمر الحسين واولاده بسلام وكان علي نفسه مزمعا على السفر ولكنه لم يرد أن يغادر جدة قبل ان يقدم الاخوان اليها وعمد الى الاستغاثات والمفاوضات وقد أبرق الى عبد العزيز يطلب الصلح ويقترح عقد مؤتمر يتمم أعمال مؤتمر الكويت ويشترط جلاء الجيوش النجدية وقد أجابه عبد العزيز بان الحجاز ليس ملكا للحسين واولاده فيجب اولا ان يتنازل علي عن مملكته الحديثة المصطنعة ويترك الحجاز لرأي العالم الاسلامي ليت في مصيره فانه صاحب الحق في اختيار من يتولى الحجاز وينظم أموره ولم يكتف عليه بذلك بل أبرق الى جمعية الخلافة في الهند والى المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين اما جمعية الخلافة فكانت على رأي ابن سعود وتشاورت وكانت من القديم تعادي الحسين واولاده وتعتبرهم من الخوارج على عرش الخلافة العظمى ايام سلاطين آل عثمان واما المجلس الاسلامي الاعلى فقد توسط لديه بالصلح ولكن توسط جاء متأخرا وطلب عبد العزيز ان يوكل الأمر الى مؤتمر العالم الاسلامي واصدر علي في جدة جريدة سماها بريد الحجاز حاول ان ينشر بها دعوته ولما وصل الحسين الى العقبة اخذ يجند الجيوش من شرقي الاردن بتوسط ابنه عبد الله

* * *

وقفة قد أطالت الحرب مدّة ... سهلت للعدو تحصين جدّة
وأخوه من الرقيم أمدّه ... بجنود من الرجال وعدّة
فاستعاد الشريف ذاك الرشيد ... باذلاً للدفاع والحرب جهده
بشراء السيار والطيّار

* * *

طاف بالبيت للقدوم الامام ... فزها الامن واستتب السلام
ويسير الجدة الاقتحام ... لكن الحرب محنة وضرام
وسياتي من الحصار المرام ... وانقضى في حصار جدة عام
وشهور فسلمت باختيار

* * *

ثم هذا وقبله بقليل ... سلمت للأمير « دار الرسول »
أخذوها بالحصر والتطويل ... خشية الحرب في المقام الجليل
فغدت في نعيم عصر جميل ... ما رأت قبله له من مثيل
غير صدر الاسلام في الأعصار

جاءت النجدة الاولى الى جدة على الباخرة رضوى وهي مؤلفة من أربعمائة جندي بقيادة تحسين باشا الفقير فسكن بها اضطراب علي نوعا وقوي ظهره وتوالت الأمدادات بعدها وقد حصل من توقف الخوان على فرصة حسنة فاستعد للحصار ومد خطا للدفاع أحاط بجدة من البحر للبحر طوقه بالأسلاك الشائكة وبث فيه الألغام واستعد بالدبابات والطيارات حتى خيل اليه انه في استعداد تام للدفاع بل اخذ يتحدث بالهجوم واسترجاع مكة وغير طيبة وفي اواخر ربيع الثاني قدم عبد العزيز الى مكة وكان مصرا على اخراج علي واخذ رأي العالم الاسلامي وعلي لا يرضى بالتنازل وترك الحجاز خصوصا بعد ان حصل على تلك الامدادات من أبيه وأخيه وقد اخذت تتوالى فالقول الفصل اذن للسيف ولم يكن اقتحام جدة عسيرا على الأخوان ولكن عبد العزيز رأى ان خير وسيلة لفصها مطاولتها بالحصار نظرا الى ما فيها من الأجانب وقناصل الدول وحل موسم الحج فبذل كل جهده لمنع الناس بالدعوة في الاقطار الاسلامية وبالفعل عن طريق جدة وبرغم ذلك فقد حج خلق كثير عن طريق رابغ والليث والقنفذة.

زحفت الجنود النجدية الى سهل جدة حيث طوقوها بالحصار وتجاوبت المدفعيات وجرت وقعة الصفحات التي جرب فيها علي قوته فانكسرت شر كسرة ولم تعد الى الخروج بعدها وفي الأخير اضطر الى التسليم والتنازل وغادر جدة الى العراق في ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ مستصحبا معه اشياءه الخاصة وكان عبد العزيز قد ارسل قوة بقيادة الدويش وأمرها ان تحاصر المدينة المنورة وان لا تهاجمها وقد دام حصارها عشرة اشهر وسلمت للأمير محمد بن عبد العزيز في ١٩ جمادى الاولى وبذلك تم فتح الحجاز كله وصح ذلك الفتى الشاب الذي خرج من الكويت بأربعين رجلا **ملك الحجاز ونجد وملحقاتها** وندعو الله ان يحقق فيه آمال الامة العربية فيراه عن قريب ملكا للعرب كلها حقق الله ذلك. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

امسِ و اليوم

حان دهرٌ على الحجاز ومرّا ... ذاق فيه الطعمين حلواً ومرّا
ذاق عصراً للراشدين أغرا ... ثم ظلت به المصائب تترى
وبعبد العزيز أصبح حرا ... يشهد الله والملائك طرا
ثم حُجّاج سائر الأمصار

* * *

قم فسائل عوالم الحجّاج ... كل عام من نائيات الفجاج
كم يعانون فيه من احراج ... اذ يعدّونهم كبعض الخراج
مورِدٌ للملوك ذي انتاج ... مذ عنا[1] ابن الزبير للحجّاج
وكذا ما تلاه من أدوار

* * *

سلطة البدو أكبر السلطات ... عزّ فيه أو ذلّ شأن الولاة
فلهم حقهم من (الخاوات)[2] ... ووفود الاله في عرفات
كنهاب في مالهم والحياةِ ... بلْهَ ما كان فيه من منكرات
موبقاتٍ - جهراً بلا انكار

* * *

أين هذا من حال هذا الزمان ... اذ غدا العدل قائم الميزان
حسب نص الحديث والقرآن ... ثم عمّ الجميع ظل الأمان
باعتناء في صحة الأبدان ... وبهذا قد تمت النعمتان[3]
اسأل المسلمين فالكل داري

* * *

لست محْصٍ وان أطلت المقالا ... لعلاه مآثراً وفعالا
حقّ فيها كلام من قد قالا: ... (ذي المعالي فليعلون من تعالى)
هكذا هكذا والاّ فلا لا[4] ... غير أني سردتها اجمالا
وهي حقاً كنقطة من بحار

خالد محمد خالد

* * *

(١) عنا خضع وذل (٢) الخاوات ما يأخذه البدو على الحجاج (٣) النعمتان : الصحة والأمان
(٤) البيت مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي .